الصراع العسكري في الشرق الأوسط.. بين التصعيد وفرض الهيمنة

حسن البيضاني
باحث من العراق

ماذا نعني بالشرق الأوسط

بداً لابد من تحديد واضح وجلي لهذا الكيان الجغرافي الذي بدأ يبرز كواحد من اكثر الكيانات الجغرافية قلقاً واستنفاراً فالكتلة الحرجة تكاد ان تتمركز على امتدادات هذا الكيان بدوله المختلفة حتى ان ما كان يطلق عليه سابقاً الصراع العربي الصهيوني لم يعد هو السمة البارزة ضمن الحدود الجغرافية له بل تصاعد الامر ليشهد صراعات مختلفة ومغايرة لما كان قائماً حيث لم تعد إسرائيل (الكيان الصهيوني) بدوافعها التوسعية وتأريخها المبني على الاغتصاب هي ما يدفع باتجاه التصعيد العسكري بل ان عوامل ومحفزات جديدة تصاعدت وباتت تشكل الثقل الأساس في طبيعة الصراعات القائمة. وبالتالي فنحن امام شرق أوسط جديد لا يشابه ذلك الذي كان سائداً في عقود محاربة الاستعمار ولا عقود المد القومي ولا يتطابق مع ما كان عليه ابان سلسلة الحروب العربية – الإسرائيلية.

الحقيقة التاريخية تؤكد الارتباط الذي لم ينفك يوماً إلا عقب تغيير موازين القوى فدول الشرق الأوسط وخاصة دول المشرق العربي ومنذ تأسيسها كانت مرتبطة بدول ناشطة جيواستراتيجيا. وبقوة اللاعبين الجيواستراتيجية اقليمياً (تركيا وايران ومصر سابقاً) ودولياً (فرنسا وبريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي في اثناء الحرب الباردة وامريكا وروسيا بعد الحرب الباردة)[1]

ان قراءة متأنية للأهمية الاستراتيجية لدول الشرق الأوسط عموماً ودول المشرق العربي على وجه الخصوص تجعلنا نرى ان ما يحصل او يحدث الان لم يعد مألوفاً كما كان الامر في السابق بل ان الصراعات اخذت اشكال جديدة فلم يعد الصراع

(1) د. عبد علي كاظم المعموري وكرار أنور ناصر... رؤية استراتيجية. فوائد الكبار في صراعات المنطقة العربية مجلة حمورابي – العدد 15 و16 صيف وخريف 2015 مركز حمورابي للدراسات الاستراتيجية – بغداد ص8

بين حركة ديمقراطية ضد نظام دكتاتوري متسلط مستمد قوته من الدعم الأمريكي وانها ليست حرب أهلية بين معسكرين، بقدر ما هي حرب بالوكالة تفرض شروطها وتداعياتها ونتائجها من قبل اطراف ولاعبين خارج الاطار الإقليمي في الغالب، مسرحها دول لا يريد لها ان تستقر وهكذا نجد ان صراعات الشرق الأوسط تمتد من متاهات جبال أفغانستان تنتهي بأزقة طرابلس مارة بسهول وجبال العراق والمدن السورية وصحارى سيناء وغيرها. انها في حقيقة الامر حرب بالوكالة وبالتالي فان شرق أوسط ذو ملامح مغايرة لما هو عليه الان يمكن ان يولد ولكن ليس كما يريده الامريكان وحلفائهم كون القوى المحركة والفاعلة في الصراع باتت متشبعة ولا تقتصر على معسكر محدد.

يعرف قاموس (ويبستر) للقرن العشرين بطبعته الثانية الصادرة عام 1972 الشرق الأوسط على انه (المنطقة الجغرافية) التي تشمل (العراق وايران أفغانستان، وفي بعض الأحيان التبن وبورما والهند) ويضيف القاموس معنى اخر لهذا الاصطلاح فيعرفه على انه يعني ايضاً الشرق الأدنى الذي يعرفه كالاتي وهو تلك البقعة التي تشمل اجمالاً البلدان الواقعة بالقرب من الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط او الى الشرق منه متضمناً جنوب غرب اسيا (تركيا، سوريا، لبنان، فلسطين، شرق الأردن، العربية السعودية، الخ) وفي بعض الأحيان البلقان ومصر، في حين ذهب الباحث الاقتصادي والموسوعي جورج قرم في موسوعته التاريخية والجغرافية الى تحديد الشرق الأوسط وفق ما يلي (يبدو الشرق الأوسط بمثابة لوحة شرقية عربية سواء على الصعيد الجغرافي او الإنساني او التاريخي فهو يمتد على شكل قوس دائرة من طرف سهل الدانوب وسلسلة جبال البلقان في اوربا حتى صحراء ليبيا ويتضمن تركيا، ايران، العراق، سوريا، لبنان، الأردن، شبه الجزيرة العربية، مصر، وكذلك دولة (اسرائيل) أي مجموعة تضم (240) مليون نسمة على أراضي وبقاع مساحتها 7.2 مليون كم مربع حيث تشابكت ثلاث قوميات (او شعوب) كبرى هي الطورانيين (الاتراك) الفرس (الايرانيين) والعرب وتعيش معهم شعوب الاكراد والارمن مع مجموعة كبيرة من المجموعات الدينية التي صمدت وجوداً عبر التاريخ)[2]

(2) مسعود الخوند - الموسوعة التاريخية الجغرافية - الجزء الحادي عشر - الشركة العامة للموسوعات - بيروت - لبنان ط3 2005 ص143

بداية النشؤ وتصاعد الصراع

هنالك الكثير من المصادر المعنية بدراسة المتغيرات التي حصلت في هذه المنطقة نحن بصددها والتي تميزت لاحقاً بان تكون ودلالتها الرسمية هي (منطقة لشرق الأوسط) هذه المصادر غالبيتها تتحدث عن التغييرات الاجتماعية والسياسية

التي حولت شكل الشرق الأوسط مع نهاية قرن التاسع عشر الى ما هو عليه الان ويختلف المؤرخون في تحليلاتهم لتلك المتغيرات وفق احكامهم على الاهمية النسبية للعوامل الداخلية والخارجية وفي تقديرهم لأثر القوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية إضافة الى التطورات العسكرية الهامة التي شهدتها تلك المنطقة في حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى. وفي كل الأحوال فان عوامل متعددة ساهمت في منح هذه المنطقة شكلها الحالي سواء من ناحية طبيعة التكوينات الديموغرافية او من نواحي أخرى تتعلق بالتنافر والتقارب الثقافي والعرقي والاجتماعي او في اقتصاداتها التي لم تكن قد ظهرت ملامح أهميتها حتى تلك الفترة كونها سبقت الثورة الفرنسية من اثر بالغ[3] وطبيعة السلوك والتصرف الغير العقلاني وغير المتزن من قبل سلاطين بني عثمان تجاه مواطني تلك المناطق، إضافة الى عامل حيوي ومهم الا وهو رياح التغيير التي بدأت تهب على عموم المناطق بعد الثورة الصناعية والتغيير الجذري الكبير في أنماط العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

(3) البرت حوراني واخرون – الشرق الأوسط الحديث – المجلد الأول. مدادات للأبحاث. القاهرة مصر ط1 2016 ص41

كانت المرونة طابع الترتيبات الامبريالية والاستعمارية في عموم منطقة الشرق الأوسط وخاصة الدول المكونة للعالم العربي، ملكيات دستورية ضعيفة مرتبطة ببريطانية وفرنسا كما في العراق ومصر وانتداب في فلسطين وملك تابع خفية للتاج البريطاني في الأردن ومشيخات مدعومة بالرشوة وكسب الأموال على طول وعرض الخليج العربي ودعم للدكتاتور في ايران يعتني بالمصالح البريطانية النفطية في نفس الوقت الذي يزيد فيه مطامعه المتوثبة من فوائد احتكار الشركة النفطية (الانكلو - فارسية) (الانكلوا – إيرانية لاحقاً) في ايران التي اضيف لها الوارد من شركة النفط العراقية IPC إضافة الى باقي الشركات العاملة.[4]

(4) د. جيرمي مولت – تفتيت الشرق الأوسط. دار النقاش للطباعة والنشر – دمشق سوريا ط1 2011 ص117

روجت الكتابات الغربية لهذا المفهوم (الشرق الأوسط) مع بداية القرن العشرين حينما ذاع صيته في الفكر الاستراتيجي الإنكليزي منطلقاً من مقال لضابط بحري امريكي هو الكابتن الفريد ماهان (صاحب النظرية البحرية الشهيرة في ت1ايلول/ سبتمبر 1920 ثم اعقبه (فالنتين شيرول) مراسل الشؤون الخارجية لصحيفة (التايمز) سلسلة مقالات حول المسألة الشرق أوسطية ثم جاء كتاب (هاملتون) الذي يحمل عنوان مشاكل الشرق الأوسط والذي صدر في لندن عام 1909 وبعد الحرب العالمية الأولى اكتسب هذا المصطلح ذيوعاً حيث انشأ (ونستون تشرشل) وزير المستعمرات البريطانية وقتها ما عرف بإدارة الشرق الأوسط وذلك في سنة 1921 حيث انيط بالإدارة شؤون فلسطين وشرق الأردن والعراق، وفي

الحرب العالمية الثانية انشأ البريطانيون مركز تموين الشرق الأوسط وقيادة الشرق الأوسط.[5]

(5) عبد القادر رزيق المخاومي مشروع الشرق الأوسط الكبير – الدار العربية ناشرون – بيروت لبنان ط1 2005 ص36

شاع في الفكر الغربي استخدام هذا المفهوم ولكنه لم يستقر على المنطقة الجغرافية التي يعنيها او يشملها، ومع ذلك فمعظم التعريفات والمفاهيم كما هو واضح تتفق على ان الأردن وسوريا ومصر والعراق ولبنان تمثل دور القلب وتضيف دراسات أخرى إسرائيل وباكستان وايران وتركيا وأفغانستان فيما تظم تعريفات أخرى دول المغرب العربي ودول الخليج العربي ويرى الباحثون في هذا المجال ان سبب اختلاف في ماهيه هذا المصطلح (الشرق اوسطي) يرجع الى عدم وجود مقياس موضوعي لتحديد نطاق النظام الإقليمي الشرق اوسطي وانه تعبير استراتيجي ذو صلة بخطط واستراتيجيات الدول الكبرى ورؤيتها لمشاكل الامن العالمي من وجهة نظرها، وبالتالي يرى أصحاب هذه الرؤية ان مصطلح الشرق الأوسط لا يحمل دلالة جغرافية بقدر ما هو مصطلح سياسي في نشأته واستخدامه، وان التسمية لا تنطبق على الحالة القائمة كونها لا تنطلق من المكونات والخصائص البشرية والثقافية والحضارية بل من نظرة الغير للمنطقة العربية وما جاورها من بلدان ذات تأثير مباشر على تكوينات تلك المنطقة.[6]

(6) عبد القادر رزيق المخاومي – النظام الدولي الجديد الثابت والمتغير – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر – ط2 2003 ص92

يمكن اجمال النقاط ذات المساس بالصراعات التي عاشها الشرق الأوسط والتي لا تزال تأثيراتها قائمة لحد الان سواء تلك التي تنحى منحى ذو منظور تاريخي او من حيث دلالات التاريخ للحالة الراهنة لهذه الصراعات بما يلي:

أ ـ ان جميع هذه الصراعات كانت سواء في نشأتها او تطورها او محاولات معالجتها او التعامل معها محصلة للتفاعل عوامل محلية او إقليمية وقد تكون دولية في بعض الأحيان. وهنا لا بد من تأكيد الحقائق التالية.

اولاً: لا يقتصر العامل الإقليمي في هذا التوصيف على الدول العربية بل يتعداه الى اطراف إقليمية رئيسية أخرى مثل ايران وتركيا وأفغانستان وكذلك إسرائيل.

ثانياً: قد تكون هنالك اطراف لم تتوفر لها بعد صفة الدولة ولكنها كانت ولا تزال مؤثرة سواء بفعلها او بكونها معنية مباشرة بالصراعات المحيطة ومسارات تطورها وما يتصل بها من تفاعلات (كالأكراد والاثوريين والدروز وغيرهم).

ثالثاً. الحديث عن الأطراف الدولية لا تتحدد فقط بالدول بل يتعدى ذلك الى المنظمات الدولية الفعالة.

ب ـ الدور غير المباشر او المباشر للأطراف غير الحكومية في تلك الصراعات.

ج ـ الصراعات لم تعد مقصورةً او مقتصرةً على مسبب واحد مثل الأرض او الثروات بل ان التوجه العقائدي والمذهبي أصبح واحد من اكثر الأسباب أهمية.

د ـ ليست هذه الصراعات قصراً على الدول العربية اتجاه دول اجنبية أخرى بل ان الصراعات العربية العربية هي التي بدأت بالتسيد.

هـ ـ لم تؤدي نهاية الحرب الباردة الى تخفيف حدة الصراعات بل انها اججتها.

و ـ على كل الأصعدة فان جميع هذه الصراعات كانت خاسرة وفق منطقة الربح والخسارة وخاصة للأطراف العربية.

ز ـ لم تحل أي من الصراعات وان جرت محاولات للحل فأنها اما ان تكون متجزئة أو انها مؤقتة وتعاود الظهور مجدداً.

سمات الصراعات في الشرق الأوسط

يمكن رصد عدد من الظواهر والخصائص التي تميز طبيعة الصراعات القائمة في الشرق الأوسط على ضوء مستجدات الحالة القائمة والوضع الإقليمي الذي تبلور بشكل اكثر وضوحاً بعد احداث 11 أيلول 2001 وسقوط نظام صدام 2003 وما اطلق عليه الربيع العربي وما تلاه من مستجدات.

تغيير في الأولويات الخاصة بأجندات المصالح والتهديدات الإقليمية. وتتميز بما يلي:

أ ـ لم تعد أولويات العمل العربي المشترك ضمن الأولويات وحتى تطوير العلاقات (العربية العربية) باتت ابعد ما يكون الى الواقع.

ب ـ لم يعد الصراع العربي الإسرائيلي ضمن الأولوية الأولى حتى لتلك البلدان العربية التي هي بتماس مباشر مع الكيان الصهيوني.

ج ـ باتت إيران وحزب الله هم من أكثر اللاعبين أهمية في ساحة الصراع العربي – الاسرائيل مع مشاركة خجولة من حماس في حين لم تعد باقي الفصائل ذات تأثير في هذا الصراع.

د ـ أصبحت الصراعات العابرة للحدود من الأولويات في جدولة الصراعات القائمة في حين ابتعدت كثيراً احتمالات نشوب حروب بين أطراف متماثلة.

هـ ـ ظاهرة العنف المسلح أصبحت اكثر استشراء وانتشاراً وتأثيراً سواء تلك التي يتبناه الافراد او الجماعات.

طبيعة الصراعات ذات استقطاب إقليمي مذهبي وتتميز بما يلي:

أ ـ سيادة الاستقطاب المذهبي على الاستقطاب القومي والعرقي.

ب ـ الانقسام المذهبي ولد تفاعلات داخلية واثر بشكل مباشر على طبيعة العلاقات الاجتماعية خاصة في الدول ذات التنوع الديمغرافي والمذهبي.

ج ـ البعد الإقليمي والخارجي كان الأكثر تأثيراً في تأجيج هذه الصراعات.

د ـ الدور الخارجي هو من اكثر المؤثرات تأثيراً على تصاعد حدة هذه الصراعات من خلال استجابته لحركات داخلية بالأساس.

هـ ـ في الوضع الراهن فان طبيعة الصراعات المذهبية انحت منحى إقليمياً اكثر مما هو داخلياً.

و ـ تجلت انعكاسات هذه الصراعات في اكثر صورها عنفاً من خلال التدخلات العسكرية المباشرة للأطراف المتمذهبة ومنها الصراع في اليمن والصراع في سوريا.

التحولات في طبيعة الصراع من مستوى إقليمي الى مستوى دول، وقد تميز ذلك بما يلي:

أ ـ منطقة الشرق الأوسط بطبيعتها لم تحظى وعلى مر العقود المنصرمة باستقلال كامل عن تأثيرات القوى الكبرى المؤثرة في مفاعيل النظام العالمي

ب ـ اغلب المتغيرات الإقليمية في الشرق الأوسط كانت تعكس المتغيرات الحاصلة في النظام العالمي سواء في طبيعة تلك المتغيرات او الهيكلة الجديدة له او في اطرافه الرئيسية او في تبدل المواقع تلك القوى داخل هذا النظام.

ج ـ ظلت الولايات المتحدة الامريكية وبعد انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي تحتل الصدارة للقوى الكبرى المؤثرة في الشرق الأوسط، بل كانت متفردة تقريباً بدور الراعي الرسمي لمجمل قضايا وتطورات منطقة الشرق الأوسط.

د ـ في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بدأت روسيا تتلمس مجدداً الطريق من اجل ان تكون حاضرةً وبقوة في الصراعات القائمة في الشرق الأوسط الا انها لم تستطيع ان تتمدد في تأثيراتها العملياتية والسوقية خارج سوريا وبمشاركة محدودة في العراق ومحاولات خجولة في ليبيا.

هـ ـ التغيير الجوهري حصل حينما اخذ الولايات المتحدة الامريكية ترفع يدها خلال (فترة رئاسة أوباما) عن منطقة الشرق الأوسط فاسحة المجال امام روسيا لتملا ذلك الفراغ بسرعة وديناميكية بعد ان صارت موسكو الفاعل الرئيسي كما بينا أعلاه في الصراع السوري الداخلي.

و ـ الولايات المتحدة قبلت بان يكون للروس دوراً ليس من باب التخلي لكنها بحاجة الى خلق منافس لها في المنطقة لإيجاد ذريعة او مبرر لاستمرار البقاء او الدفع باتجاه خلق تكتلات او تحالفات عسكرية تكون هي الراعية لها لمواجهة المد الروسي.

ز ـ الصراعات المسلحة في كل من ليبيا واليمن باتت تشكل هاجساً لولوج روسي فيها كلاعب أساسي محاولة ان تحل محل الولايات المتحدة الامريكية في موقع القوة المهيمنة على الشرق الأوسط.

تحالفات إقليمية جديدة تناسب وطبيعة الصراعات القائمة. وتتميز بما يلي:

أ ـ ضمن ذات السياق فان المنطقة برمتها تتجه في طبيعة صراعاتها القائمة الى منظومة تحالفات ومحاور إقليمية تجسد تلك الموجة من المتغيرات.

ب ـ لم تختلف كثيراً مكونات تلك التحالفات عما كان قائماً في السابق حيث توزعت هذه التحالفات ووفق الصراعات العسكرية القائمة الى محورين:

أولاً: المحور الأول: محور الممانعة والمقاومة: وهو الرافض لكل تقارب مع إسرائيل ويبتغي الاستمرار في تصعيد الصراع معها، تشكل ايران مرتكز هذا المحور مع حزب الله اللبناني وفصائل المقاومة الإسلامية في العراق وانصار الله في اليمن وحماس في فلسطين.

ثانياً: محور الاعتدال: وهو في حقيقته ابعد ما يكون من الاعتدال بل هو محور او تحالف عسكري قائم على قبول إسرائيل كواقع حال ومحاولة مهادنتها مع الدخول في صراعات (لطلب بديل) مع القوى التي تشكل محور الممانعة ومقاومة.

أ ـ التحالفات القائمة خاصة العسكرية منها تكاد ان تكون ذات توجه مذهبي قبل ان تكون مرتبطة بمصالح تلك الدول رغم ان الموقف من إسرائيل يشكل المرتكز الأساس في طبيعة تلك التحالفات.

ب ـ بشكل عام فان التحالفات الإقليمية القائمة يجمع بينها اتساق مذهبي، الامر الذي أوجد ضلالاً مذهبيا بحالة الاستقطاب في النظام الإقليمي بالشرق الأوسط.

ج ـ ضمن ذات السياق فان التحالفات القائمة في الوقت الحاضر في الشرق الأوسط اخذت تتصاعد فيها الخلافات والانقسامات الإقليمية واغلبها تدور حول الموقف من إسرائيل وهذا ما عملت عليه الولايات المتحدة الامريكية.

د ـ دخول إسرائيل في تلك التحالفات قد لا يكون معلناً ولكنه قائم كواقع حال وذو تأثير كبير في طبيعة ونتائج الصراعات القائمة.[7]

(7) سامح راشد – عودة الشرق الأوسط الجديد – السياسة الدولية – العدد 208 نيسان 2017 مركز الاهرام للدراسات – القاهرة – مصر ص137

الشرق الأوسط الصراع من أجل النفوذ الإقليمي

قد تكون فترة حكم ترامب مثاراً ومداعاة للتفكير في ان الدور الأمريكي في الشرق الأوسط لم يعد كما كان عليه سابقاً خاصة وان التخبط والتصعيد والتناقضات التي ظهرت على الساحة نتيجة التخبط السياسي الغير متوقع لترامب قد القى بظلاله على قدرة أمريكا في الاحتفاظ بقصب السبق في فرض الهيمنة في الشرق الأوسط، وهنا يطرح تساؤلا جوهرياً حول إمكانية صعود قوى إقليمية او دولية لتمارس دور (القائد الاقليمي) في منطقة الشرق الأوسط خلافاً للدور الأمريكي المتراجع. وإقليما هنالك خمس دول مرشحة للصعود حسب ما ورد في وجهة نظر الكاتب المصري – دكتور أبو بكر دسوقي في مقاله الموسوم (رؤية استراتيجية – فراغ القوى والصراع على النفوذ في الشرق الأوسط)[8] وهي مصر والسعودية وايران وتركيا وإسرائيل:

(8) دكتور أبو بكر دسوقي – فراغ القوى والصراع على النفوذ من الشرق الأوسط – مجلة حمورابي العدد 14 ربيع 2015 مركز حمورابي للدراسات الاستراتيجية بغداد ص 14

أ ـ مصر: احداث ثورة 25 يناير 2011 منحت مصر جرعة اكبر لغرض إعادة ترتيب وضعها الإقليمي والمحوري رغم ان المعطيات على الأرض قد لا تكون في صالحها ومنها تصاعد حدة الإرهاب في سيناء والتنافس المصري السعودي التركي وغيرها من العوامل.

ب ـ السعودية: هنالك أربعة مسببات تدفع باتجاه ان تكون للسعودية الريادة والقدرة على ان تصبح الدولة الأكثر نفوذاً في صراعات الشرق الأوسط وهي:

أولاً: التحول الداخلي الحاصل في داخل الاسرة المالكة وأفكار الجيل الثالث الذي توالى الحكم وتصاعد المخاوف من اضطراب الامن الداخلي للمملكة.

ثانياً: التحولات الإقليمية والدولية ومحاولة كل من تركيا ومصر التبوء مما يدفع السعودية للعمل على تقويض هذا التوجه.

ثالثاً: مواجهة الخطر الإيراني الذي تجد فيه السعودية التهديد الأكبر لأمنها ومصالحها.

رابعاً: التحول المحتمل لموقف الولايات المتحدة الامريكية تجاه السعودية والتي بقيت وعلى مدى اكثر من سبعين عاما هي الحامية لنظام حكمها.

ج ـ إيران: بلا شك ان دخول ايران وبقوة في معترك الصراعات في الشرق الأوسط خاصة بعد فرض ارادتها في سوريا رغم وجود اطراف فاعلة على الساحة مثل أمريكا وروسيا والسعودية يجعل منها اللاعب الأكثر تأهيلاً لقيادة المنطقة الا ان عقبات كثيرة قد تحول دون قدرة ايران في ان تكون كذلك خاصة وانها تدخل الان في صراع مسلح وبشكل غير مباشر مع السعودية على الأراضي اليمنية، وايران كدولة إقليمية تسعى للتاثير على مجريات الاحداث الحاصلة، لكونها ضمن الدول التي تسعى أمريكا وإسرائيل وحلفائها من اجل تفويض دورها الإقليمي ومحاصراتها.

د ـ تركيا: قد تكون فرصة تركيا في هذا مجال هي الأقل باعتبارها غير قادرة كليا على ان تلعب هذا الدور بشكل متقن رغم توجهات الحزب الحاكم في الوقت الحاضر (العدالة والتنمية) للنفاذ الى هذا المعترك من البوابة الإسلامية والسب هوانها تتناقض مع طرفين من اطراف المعادلة السعودية ومصر وتكاد ان تكون علاقتها بإسرائيل متذبذبة وفق مصالحها الوطنية الا انها تمتلك في ذات الوقت قدرة عالية على احداث التحول في استراتيجيتها خاصة بعد ان أضحت فرصها في ارتدى الثوب الأوربي ضئيلة.

هـ ـ إسرائيل، تنطلق من استراتيجية تقوم على منطلقات القوة العسكرية والحرب والصراع وموازين القوى وبسط النفوذ تجاه دول الشرق الأوسط عموما والدول العربية على وجه الخصوص سواء تلك التي وقعت معها معاهدات سلام (الأردن ومصر) او التي لم توقع، وانها تفترض ان وجودها في خطر منذ نشأتها لهذا فان صراعها مع العرب يدفعها على ان تبقى الطرف الإقليمي الأقوى عسكريا في المنطقة، بما يسمح لها بفرض رويتها على الدول العربية وعموم دول المنطقة.

الجماعات الإرهابية وصراع الشرق الأوسط

رغم ان منطقة شرق الأوسط عموما لن تكن يوما وعلى امتداد سنوات القرن العشرين حتى العقدين المنصرمين من القرن الحالي بمعزل عن الصراعات الدامية الا ان ظهور الجماعات الإرهابية المسلحة خلال العقود الأخيرة وسع دائرة الصراعات المسلحة الى درجة كبيرة حيث لم تعد تلك الصراعات كما كانت عليه في السابق تتمثل في اقتتال بين دولتين او حرب أهلية مدعومة من اطراف إقليمية، لابل تعدى الامر ذلك لتتحول عموم المنطقة الى خنادق متداخلة بين اطراف مختلفة حتى ان حدود تلك الصراعات المسلحة حولت الحالة القائمة في الشرق الى ما يشبه والى حد كبر برامجيات القتال التي يتعاطها الأطفال والصبيان فالعدو يتغير بين الحين والأخر وطبيعة القتال تأخذ اشكال غير مألوفة وحتى دموية المعارك فاقت والى حد كبير ما كان سائداً، يضاف الى ذلك ان هذه الصراعات المسلحة ارتدت ثوباً جديداً يتمثل في الحروب اللامتماثلة والتي يمكن ان تعرف على انها (تلك الحروب التي تبتعد عن الأساليب التقليدية من حيث طبيعة طرفي القتال اذ غالباً ما تجري بين طرف يمتلك القوة التقليدية بكل مواصفاتها وطرف ثاني يتخذ من الاساليب القتالية غير النمطية وسيلة لمواجهة القوة التقليدية أي ان احد الأطراف قد يكون دولة او مجموعة دول متحالفة والطرف المقابل قد يكون مجموعة مسلحة او تنظيم غير نظامي على النقيض من فكر وتوجهات تلك الدولة او مجموعة الدول المتحالفة).

اتسعت والى حد كبير إمكانيات وقدرات التنظيمات الإرهابية في منظمة الشرق الأوسط بشكل كبير لأسباب متعددة يمكن اجمالها بما يلي:

أ ـ الفراغ الأمني الحاصل بعد سقوط أنظمة كانت تحكم وفق منطق (دولة القوة) مما أتاح الفرصة لتلك التنظيمات من ان تجد لها متسعاً ومتنفساً للعمل والظهور بقوة لممارسة العنف بمختلف اشكاله.

ب ـ دور الولايات المتحدة الامريكية في اعتماد هذه التنظيمات الإرهابية كوسيلة للتطبيق الفوضى الخلاقة التي باتت واحدة من اكثر استراتيجيات الولايات المتحدة حراكاً في الشرق الأوسط.

ج ـ إسرائيل وعملها الدؤوب والمتناهي الدقة من اجل تغذية هذه التنظيمات وتقويتها كونها الضامنة لأمن إسرائيل اكثر من سواها.

اعتمدت هذه التنظيمات أساليب متعددة في تأجيج الصراعات ولم تقتصر على

أسلوب واحد فقط بل تعدى ذلك الى العديد من الأساليب التي تجعل من طبيعة واتساق الصراع شيء مغاير تماماً لما هو مألوف وقائمة الأساليب تطول وقد تضاف أساليب جديدة بين الحين والأخر الا ان جميعها ينصب من اجل هدف محدد الا وهو الإرهاب وصولاً الى تحقيق ما يطلق عليه التوحش حيث تصبح الحياة المدنية مهددة وغير مستقرة وان شبح الموت والدمار يكون هو الغالب حيث لا تطور للأمام ولا إمكانيات للبناء دولة وفق المفهوم العصري. ان الأساليب المتبعة في الصراع بين الأطراف المتحاربة في مجال الإرهاب ومكافحة في الشرق الأوسط. يمكن ان تتضمن ما يلي:

أ ـ العمليات الانتحارية التقليدية التي تستهدف المواطنين العزل سواء بالأفراد (الانتحاريين او الانغماسين) او بالعجلات المفخخة.

ب ـ عمليات الاختطاف واحتجاز الرهائن خاصة بعد فترات الهدوء النسبي للعمليات الإرهابية لغرض شد الانتباه والتذكير بوجود الإرهاب وعدم توقفه.

ج ـ الهجمات المسلحة التقليدية التي تستهدف الى جر القطعات الى منطقة قتل او تبتغي اشغاله في مكان معين والقيام بعمليات إرهابية ذات تأثير اكبر في مكان اخر.

د ـ عمليات الكر والفر أي القتال في منطقة محددة ثم الانسحاب منها والعودة مجدداًاليها بعد ان تكون القطعات قد استرخت وأصبحت اكثر وهناً.

هـ ـ قتال الاستماتة وهو نمط نادر تخصص له مجاميع صغيرة لتقاتل في اهداف حيوية لا يمكن الاستمرار في الاحتفاظ بها لذلك فان جميع العناصر المشتركة في هذا القتال من الإرهابيين اذا لم يقتلوا فأنها سيقومون بتفجير انفسهم وهؤلاء غالباً ما يطلق عليهم (الانغماسين)

و ـ قتال التعويق وغالباً ما تقوم به مجاميع داعش عندما تكون غير قادرة على الصمود في منطقة او هدف محدد حيث يجري ترك قوة تقوم بالتعويق وتامين الستر للقوة الأكبر للانسحاب الى أماكن اكثر ملائمة للقتال.

ز ـ الاغتيالات وهذا النمط من العمليات هو الغالب في المدن التي تفقد فيها داعش والتنظيمات الإرهابية سيطرتها حيث يجري الاغتيال بوسائل مختلفة حسب طبيعة الهدف واهمية وطبيعة الحماية المؤمنة له والتحديدات التي تفرضها طبيعة المنطقة التي يجري فيها الاغتيال.

ح ـ ضرب او تدمير البنية التحتية وهذه العمليات غالباً ما تكون سائدة في اطراف المدن او المناطق الخالية من المراقبة او القطعات والمستهدف هنا هو انابيب نقل الوقود والخطوط الناقلة للطاقة ومحطات التوليد للطاقة الكهربائية.

ط ـ اقتحام السجون والموقف وقد برعت القاعدة وبعدها داعش بتنفيذ هذه العمليات وغالباً ما يكون النجاح هو حليفها وهنا لا بد من ان تكون جهات أخرى متواطئة معها هي التي تمكنها من تحقيق مثل هذه النجاحات والاهداف ذات التأثير المباشر على حياة المواطنين.

ي ـ استهداف المطارات ويجري ذلك غالباً باستخدام الوسائل التقليدية في قصف المطارات سواء بالهاونات او الصواريخ ولم تكن اغلب العمليات التي نفذت من هذا النوع ذات تأثير كبير بل ان التصعيد الإعلامي هو المحصلة الأكثر تأثيراً لمثل هذه العمليات.

التنظيمات والجماعات الإرهابية الأكثر تأثير في الصراعات

بالتأكيد ان لتنظيم القاعدة ممثل بالقيادة التي يتحكم بها الظواهري التأثير الأكبر في منطقة الشرق الأوسط هذا الحال كان قائماً حتى اعلان (دولة الخلافة الإسلامية) من قبل أبو بكر البغدادي في يوم 29 حزيران 2014 بعدها أصبحت الريادة والتأثير الأكبر لداعش حيث باتت هي المتحكمة في عموم منطقة الشرق الأوسط مع مشاركة محدودة من جبهة النصرة في سوريا ذلك الفصيل الذي رفض ان يكون جزء من (دولة الخلافة) حسب ما ورد على لسان (القحطاني) في رسالته للظواهري بعد يوم من اعلان الدولة المزعومة اما باقي الفصائل المسلحة الإرهابية الفاعلة فهي غالباً ما يكون ذات تأثير مناطقي محدود أي ان فعاليتها القتالية واعمالها الإرهابية ومدى تأثيرها على سير الصراعات في الشرق الأوسط فهو محدود جداً ولا يتعدى منطقة المسؤولية التي تتحكم بها. ان الصراعات المسلحة القائمة الان في الشرق الأوسط عموماً وفي المناطق العربية على وجه الخصوص والتي أصبحت التنظيمات الإرهابية اللاعب الأكثر تأثير وفاعلية فيها لا يمكن ان تفهم دون ان يصار الى فهم العلاقات الغير مستقرة بين مختلف الأطراف المتصارعة على مستوى الدولة حيث ان سياسة المحاور فرضت نفسها بقوة في المنطقة الى الحد الذي اصبح فيها المقياس بين الدول (من لم يكن معي فهو عليه) وبالتالي فقد اججت تلك التنظيمات طبيعة الصراعات القائمة ومنحتها بعداً طائفياً وابتعدت كثيراً عن مفهوم الصراع الذي كان سائداً فترة تصاعد الصراع العربي الإسرائيلي. ان العناصر

الفاعلة في هذا الصراعات على مستوى الشرق الأوسط من التنظيمات الإرهابية هي:

أ ـ تنظيم داعش الممثل بما يطلق عليه (الدولة الإسلامية في العراق والشام).

ب ـ تنظيم القاعدة (الهرم الرئيسي – الممثل بقيادة الظواهري) وترتبط به.

اولاً. تنظيم القاعدة في اليمن والجزيرة العربية.

ثانياً. تنظيم القاعدة في الشمال الافريقي.

ثالثاً. تنظيم القاعدة في افغانستان والباكستان.

رابعاً. تنظيم القاعدة في جنوب اوربا (في الدول الخارجة من عباءة الاتحاد السوفيتي السابق).

خامساً. هنالك تنظيمات إرهابية متذبذبة في ولاتها بين القاعدة وداعش.

أ ـ جبهة النصرة في سوريا (وترتبط عقائدياً وشرعياً بالقاعدة (الظواهري) الا انها منحت لنفسها استقلالية في التعاطي مع الملف السوري فقط دون السماح بالعمل في أي دولة أخرى.

ب ـ انصار الشريعة في اليمن.

ج ـ تنظيمات بيت المقدس في سيناء.

د ـ الشباب المجاهدون في الصومال.

هـ ـ بوكوحرام (نيجيريا) رغم انها ليست ذات تأثير على مجرى الصراعات في الشرق الأوسط.

دور الجماعات الإرهابية في صراعات الشرق الأوسط

1 ـ يمكن اجمال الأدوار التي اضطلعت بها التنظيمات الإرهابية في حمى الصراعات في الشرق الأوسط بما يلي:

أ ـ تصعيد وتيرة الصراع الطائفي من صراع مجالس واراء ونشرات الى صراع مسلح ذو ابعاد خطيرة أدخلت عموم المنطقة في اتون حروب وصراعات دموية أدت الى قتل مئات الالاف وتشريد الملايين وتدمير البنية التحتية لأغلب البلدان التي ضربتها موجة الإرهاب الطائفي.

ب ـ محاولة الوصول بتلك الصراعات العسكرية الى نقطة اللاعودة وبالتالي تفتيت الدول وفق تقسيمات طائفية مصحوبة بعمليات تهجير كبرى.

ج ـ لعب ذات الدور الذي خططت له جهات دولية وإقليمية بإعادة رسم خارطة الشرق الأوسط وفق ما تراه الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل مناسباً لديمومة هيمنة الأولى وتسلطها ولاستمرارية بناء الثانية وتوسعها.

د ـ منع أي تقرب عربي – عربي وكذلك منع قيام أي تحالف شرق اوسطي ذو ميول مستقلة عن الإرادة الامريكية وطموحات إسرائيل الحالية والمستقبلية.

هـ ـ إبقاء سباق وحمى التسلح والانفاق العسكري مفتوحاً على مصراعيه منعاً لأي تطور في اكمال البنى التحتية لبلدان الشرق الأوسط الى الحد الذي يقوض قدرة تلك البلدان على استقلالية قرارها السياسي والاقتصادي.

2 ـ ان مستقبل الشرق الأوسط مرهون الى درجة كبيرة بما يحصل من تصعيد إرهابي في الوقت الحاضر حيث ان محصلة صراعات الطوائف والقوميات في الشرق الأوسط يحتمل انها هي التي ستعين وتحدد حدود دول المنطقة اما طبيعة هذه الدول نفسها فستحدد وفقاً لمصلحة الصراع الدائر ضد الجماعات الإرهابية المتطرفة وفي الحقيقة فانه يصعب الحديث عن حدود دول المنطقة دون حسم الصراع ضد الجماعات المتشددة وخاصة (داعش) الذي يعد رفض الحدود القائمة بين الدول في الوقت الحالي جزأ رئيسياً ليس فقط من بنيته الفكرية وهو الامر الذي تشترك فيه كافة التيارات المتشددة ولكنه ايضاً جزء من استراتيجية السياسة واطاره التنظيمي. فما يميز جماعة الدولة الإسلامية (داعش) عن غيرها من الجماعات التكفيرية المتشددة هو انها وضعت موضوع التنفيذ المباشر افكاراً واهدافاً، اعتادت الجماعات الأخرى على حسابتها اهداف بعيدة المدى غير مطروحة للتنفيذ الفوري وبالتالي فان هذا العامل يعتبر عاملاً حاسماً في تحديد مستقبل المنطقة.[9] ومستقبل ونتائج عموم الصراعات القائمة بالشرق الأوسط بالوقت الحاضر.

(9) د. جمال عبد الجواد – مستقبل الشرق الأوسط تضعه فوق الحاضر – سياسة دولية العدد 199 كانون الثاني 2015 – مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية – القاهرة مصر – ص 69

صراعات الشرق الأوسط بين الإدارة الوطنية والدوافع الإقليمية

الكل يعلم ان الصراع في جوهره هو تنازع بين ارادات مختلفة ذات دوافع متباينة تصل الى حد القطعية والتنافس وصولاً الى الصراع بدرجاته المختلفة واقصاها بالتأكيد الصراع المسلح وهذه الدوافع المتباينة قد تختلف حسب التصورات والاهداف

والسياسات والتطلعات وكذلك في الموارد المتيسرة والامكانيات وخاصة ما يتعلق منها بامتلاك القوة. ومن هنا تبرز الصراعات بين إرادتين مختلفتين ويجري اعتماد السياسات واتخاذ القرارات خاصة الخارجية منها وفق نهج مختلف وليس متفق مع الاخر. وبالتأكيد فان الصراعات قد تتنوع من حيث مظاهرها واشكالها وطرق التعبير عنها فقد تكون صراعات سياسية او اقتصادية او دعائية (إعلامية) وحتى تقنية وتصل الى ذروتها في الصراعات العسكرية وتتراوح أدوات تنفيذها بين الضغط بوسائل مختلفة او الحصار او الاحتواء او التهديد او العقاب او التفاوض والمساومة او التنازل او التحالف او التحريض او التخريب او التآمر[10] او الهجوم والاحتلال او استخدام القوة بشكل جزئي او كلي.

(10) وسام شاكر السراي. عسكرة الصراع في عالم القوة الناعمة – مجلة ايمان استراتيجية العدد 12 حزيران 2016 الصادرة من مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية بغداد العراق – ص 180

العالم بشكل عام ليس بمنأى عن الصراعات فليست منطقة الشرق الأوسط وحدها من يشهد هذه الصراعات بل ان تصاعد الصراعات بات الظاهرة الأكثر حضوراً وقد حددت الكثير من الدراسات اعداد الصراعات على مستوى العالم التي تصل الى مستوى الصدام المسلح وخلال العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين بأكثر من 250 صراع مختلف الشدة.[11] ان ضحايا هذه الصراعات قد يصل الى عشرات الالاف مصحوبة بتشريد وتهجير يصل الى الملايين وفي واحدة من الإحصاءات الموثوقة نجد ان الخسائر الناجمة عن هذه الصراعات وحسب السنوات وعلى مستوى العالم هي كما يلي:

(11) زيغينو برجسنكي – رؤية استراتيجية أمريكا وأزمة السلطة العالمية – دار الكتاب العربي بيروت – ط1 2012 ص9

2008	2010	2012	2014	2016	2018
عدد الصراعات 63 الخسائر 56 الف	عدد الصراعات 55 الخسائر 49 الف	عدد الصراعات 51 الخسائر 110 الف	عدد الصراعات 42 الخسائر 180 الف	عدد الصراعات اكثر من 40 صراع الخسائر يزيد على 250 الف	عدد الصراعات اكثر من 40 صراع الخسائر يزيد على 250 الف

اما على مستوى الشرق الأوسط فان هذه الصراعات لم تختلف عن مثيلتها على مستوى العالم فقد أضحت الصراعات الداخلية فيها تشكل 80%[12] من مجموع الصراعات القائمة وغالباً ما تنافس افريقيا والشرق الأوسط في الحصول على

(12) وسام شاكر السراي – مصدر سابق ص184

قصب السبق في عدد الصراعات المسلحة ودمويتها. حيث شهدت منطقة الشرق الأوسط سبعة نزاعات متحددة خلال عام 2017 في كل من مصر والعراق وسوريا وفلسطين وليبيا وسوريا وتركيا واليمن. وهنالك تداخل بين العديد من هذه النزاعات التي انخرطت فيها قوى إقليمية ودولية إضافة الى جهات فاعلة أخرى كثيرة ومتفرعة عن الدول تضمنت التطورات الاقليمية الرئيسية واستمرار تداعيات الربيع العربي الذي عاد مجدداً للظهور في (الجزائر والسودان) والمنافسة الإقليمية بين السعودية (بديل الولايات المتحدة وايران)، وخسارة الأطراف الإقليمية والدولية لرهانها حول بقاء داعش في كل من العراق وسوريا.

الانفاق العسكري والصراعات المسلحة في الشرق الأوسط

هنالك العديد من الدوافع والمبررات والأسباب التي تجعل منطقة الشرق الأوسط المنطقة الأكثر جذباً لسوق الأسلحة والمعدات العسكرية، ومرد ذلك بالتأكيد هو انتشار أنظمة الحكم الاوتوقراطية المرتبطة بأجندات خارجية وغياب نظام إقليمي مستقر واقتصاديات متخلفة مصحوبة بنزاعات وصراعات تحركها دوافع مختلفة. وبذلك فان سباق التسلح سيكون حالة طبيعية جداً وهذا ما تتسم به بيئة الشرق الأوسط وشمال افريقيا حيث غالباً ما يشكل الانفاق العسكري النسبة الأكبر من موازنات تلك الدولة قياساً بباقي أوجه الانفاق العام.

ان الدوافع والأسباب التي أدت الى زيادة الانفاق العسكري وسباق التسلح في منطقة الشرق الأوسط ما يلي:

أ ـ قد تكون الفوضى الخلاقة التي تديرها الولايات المتحدة الامريكية عاملاً هاماً في تصعيد حدة سباق التسلح حيث انها فرضت على الدول في الشرق الأوسط وضعاً جديداً يتطلب التسلح وبوتيرة متصاعدة خشية تصاعد حدة الصراعات خاصة الداخلية منها.

ب ـ ساهمت فلسفة النظام الأمني القائم في منطقة الشرق الأوسط في تصاعد حدة التوترات بين الدول وبالتالي منحت الفرصة لتصاعد وتيرة سباق التسلح نتيجة اتسام النظام الأمني عموماً بالمنطقة بسمة (المعضلة الأمنية القائمة) وهكذا نجد ان كل الأطراف تحاول تعزيز قدرتها العسكرية شعوراً منها بان هنالك خطر داهم سواء كان هذا الخطر يتمثل بالتهديدات الداخلية او الخارجية.[13]

ج ـ تحقيق التوازن العسكري بات يشكل طموحا لكل الأطراف في الشرق الأوسط

(13) وسام شاكر السراي – خارطة الطريق لتعميم الصراعات الخفيفة في الشرق الأوسط وشمال افريقيا، أبحاث استراتيجية العدد 16 ت2 2016 الصادرة من مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية – بغداد العراق – ص98

بغض النظر عن طبيعة الاخطار المحدقة وحقيقتها، وبالتأكيد فان البحث عن التوازن ليس مرده اختلال مقومات القوة بلا مبرر بل ان الأوضاع بشكلها العام توحي الى احتمالية حصول الصراعات دون ان تكون هنالك مقدمات لهذه الصراعات وبالتالي أصبحت عموم المنطقة تعيش دوامة فرضية ما يطلق عليه (تحقيق الامن عن طريق التفوق).

د ـ الصراع النووي او ما يمكن ان يسمى بسباق التسلح النووي المعلن من قبل إسرائيل والغير المعلن من قبل اطراف أخرى ولد حالة من التسارع والتسابق من اجل ان تمتلك باقي الدول قدرات عسكرية تقليدية تحقق ولو جزء من متطلبات التوازن مع (إسرائيل) أي بمعنى اخر ان امتلاك إسرائيل للسلاح النووي ساهم على حد كبير في تبرير هذا السباق وارتفاع وتيرته.

هـ ـ التداخلات الإقليمية التي باتت السمة المميزة لمنطقة الشرق الأوسط فجميع الصراعات القائمة بالوقت الحاضر وبرغم انها صراعات تندرج ضمن اطار الصراعات الداخلية الا ان الأطراف الإقليمية هي التي تتحكم فيها فلم تعد الحدود مانعة لمثل هذه التدخلات، هذا الامر ولد نزعة متصاعدة لدى اغلب الدول في ان تخصص اغلب مواردها لتحقيق عنصر الردع الذي يراد منه الحيلولة دون تدخل دول الجوار الإقليمي او الدول ذات المصالح في الشؤون الداخلية لتلك الدولة، لاسيما وان هنالك انعدام تام لوجود نظام امن إقليمي قادر على حماية امنها الوطني، يضاف الي ذلك ان هنالك ما يمكن ان يطلق عليه عدم ترسيخ او احترام مفهوم (الدولة الوطنية) في المدركات السياسية لعموم دول المنطقة،

و ـ التحالفات الدولية الجاذبة لدول منطقة الشرق الأوسط حيث غاب وعلى وجهه اليقين أي دور لفرض مفهوم (الامن الإقليمي الشامل من مسؤولية دول الإقليم) ووجد بدلا عنه لجوء اغلب دول المنطقة الى التحالفات الدولية لتحقيق التوازنات هذه التحالفات ساهمت والى حد كبير في تصعيد وتسارع سباق التسلح من اجل تحقيق التوازن بين قوى المنطقة المتصارعة وحتى تلك التي تخشى ان تدخل في صراعات مستقبلا فبرزت بدلا من فلسفة (امن الإقليم من مسؤولية دول الإقليم) فلسفة نقيضة لها الا وهي فلسفة (الامن عن طريق التكتل) وبالتالي بات مفهوم (الامن الجماعي المشترك) بعيدا كل البعد عن اهتمام دول منطقة الشرق الأوسط، وهذا ما يؤكده الإهمال التام لغياب التحالف العربي العسكري المشترك (معاهدة الدفاع العربي المشترك) لتبرز بدلا عنها تحالفات جديدة ذات طابع دولي بشكله العام الا انه ذو منحى طائفي بشكله الخاص

منها (التحالف الدولي مكافحة الإرهاب) و (التحالف العربي في الحرب ضد اليمن) والتحالف الإسلامي الذي لم يصل الى المستوى الذي اعلن من اجله حتى الان.

ت	اسم الدولة	المرتبة عالميا	حجم الاتفاق بالدولار (مليون)	النسبة المئوية من اجمالي الناتج المحلي (للأنفاق العسكري)
1	السعودية	2	4110	%10
2	مصر	3	2355	%4.5
3	الامارات	4	848	%4.4
4	الجزائر	7	905	%3.7
5	العراق	8	712	%3.4
6	تركيا	12	412	%2.4
7	عمان	16	782	%12
8	اسرائيل	17	528	%4.7
9	قطر	20	670	%1.5
10	الكويت	27	113	%5.4
11	الأردن	39	386	%4.8

امام جميع هذه الحقائق نجد ان سباق التسلح الذي تشهده المنطقة يكاد ان يكون هو الأسرع والأكثر حيازة على اهتمام الشركات العالمية المصنعة للأسلحة والجدول التالي يبين نسبة الإنفاق لدول الشرق الأوسط لعام 2018 (الأسلحة المستوردة)[14]

من خلال الجدول اعلاه يتبين لنا بان الشرق الأوسط قد ظم سبعاً من الدول العشرة ذات العبء الأكبر في مجال الانفاق العسكري في العالم خلال عامي 2017 و 2018 ورغم ان التقديرات لم يظهر الى الوجود وبصورة متكاملة خاصة في المصدر الأساسي المتمثل بمعهد (سيبري) (معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي) لعام

(14) معهد ستوكهولم للأبحاث السلام الدولي – التسلح ونزع السلاح الدولي – الكتاب السنوي 2018 – مراكز دراسات الوحدة العربية ص246 بيروت لبنان ط1 2018 ص246

2018 لعدم توفر البيانات الدقيقة عن عدة بلدان ومنها (قطر والامارات) حيث يقدر انهما من اكثر الدول انفاقاً على الأسلحة بناء على مشترياتها الضخمة من الأسلحة ومستويات انفاقهم العسكري في السنوات السابقة إضافة الى الأطراف المتصارعة في كل من اليمن وسوريا حيث لا توجد إحصائية دقيقة لهذا الغرض كون الأطراف المشتركة في عملية تأجيج الحروب والصراعات في هذين البلدين متعدد ومتنوعة ولا تخضع لمقاييس علمية واحصائية يمكن اعتمادها.

بشكل عام تمثل السعودية والامارات اكبر المنفقين على التسلح والسبب الذي يجعل البلدين في المقدمة هو الحرب في اليمن والتهديد الإيراني المفترض والخلاف مع قطر، اما ايران فرغم ان العقوبات الاقتصادية قد زادت من الضغوط عليها في مجال الانفاق العسكري، الا ان الانفراج الذي حصل خلال عامي 2016 و2017 بعد توقيع الاتفاق النووي قد منحها القدرة على انفاق 14.7 مليار لأغراض التسليح الا ان التصعيد الجديد والعقوبات الأكثر تشدداً من قبل الولايات المتحدة الامريكية بعد استلام (ترامب) للرئاسة الامريكية والغائه من جانب واحد الاتفاق النووي مع ايران سيسهم بلا شك في خفض نسبة الانفاق العسكري الإيراني.

اسرائيل يرتفع وينخفض معدل انفاقها العسكري وفق للعمليات العسكرية التي تجري بين الحين والأخر في غزة ومع ذلك فان مستوى الانفاق وصل الى مستويات عالية عام 2017 حيث بلغ 16.5 مليار من دون احتساب المساعدات الامريكية العسكرية التي تصل الى 3.1 مليار رغم انها انفقت فقط 528 مليون دولار لاستيراد الاسلحة من الخارج اما باقي المبالغ فقط جرى التعامل بها مع الشركات الإسرائيلية المنتجة للأسلحة. مصر من جانبها لا تزال على ما هي عليه في نسب الانفاق العسكري الا ان عام 2017 شهد بعض الانخفاض في الانفاق رغم انها لا تزال تشارك في التدخل العسكري في اليمن ولكن بشكل محدود جداً ولا تزال قلقة حيال الوضع الأمني على الحدود الليبية واخطار الإرهاب في سيناء والتي لم تصل بعد الى درجة الخطورة الأقل (المستوى الأصفر) بل تتصاعد مؤشراتها بين الحين والأخر، ومصر هي الأخرى تحصل ما مقداره (1.1) مليار دولار كمساعدات عسكرية من الولايات المتحدة الامريكية. في الوقت الذي انفقت تركيا (2.2%) من ناتجها المحلي على الانفاق العسكري واحتلت بذلك الموقع (12) بين دول العالم وهذا الامر فيه خروج عن متطلبات او اهداف حلف الناتو التي تحدد نسبة الانفاق من الناتج المحلي الإجمالي بـ 2% فقط.[15]

(15) معهد ستوكهولم للأبحاث السلام الدولي – التسلح ونزع السلاح الدولي – الكتاب السنوي 2018 مصدر سابق ص10

جدول يبين معدل الانفاق العسكري في دول الشرق الأوسط لعام 2017

ت	الدولة	معدل الانفاق العسكري من الموازنة العامة للدولة لسنة 2017[16]
1	عمان	14.2%
2	السعودية	13.3%
3	العراق	7.3%
4	الجزائر	6.2%
5	الامارات	5.7%
6	لبنان	4.8%
7	البحرين	4.6%
8	الاردن	4.3%
9	اليمن	4%
10	الكويت	3.7%
11	المغرب	3.2%
12	موريتانيا	2.7%
13	تونس	2.3%
14	مصر	1.7%
15	اسرائيل	5.4%
16	ايران	2.3%
17	تركيا	2.1%
18	جنوب السودان	10.9%

(16) احمد السيد النجار: الانفاق العسكري والتسلح في العالم والوطن العربي. المستقبل العربي العدد 470 نيسان 2018 – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ص91

الصراع في سوريا

قد لا يستطيع المتابع لهذا الصراع رسم صورة واضحة عما يجري ان لم يكن مدركاً مسبقاً بان هذا الصراع يختلف في كل جوانبه عن باقي الصراعات التي تستعر في ارجاء الشرق الأوسط فهذا الصراع لم يعد كما جرى التخطيط له بان يكون مقتصراً

على معارضة ذات طابع إسلامي متشدد تريد اسقاط نظام برز في أيامه الأخيرة على انه نظام ذو نزعة طائفية رغم علمانيته المعلنة. اذ تطور شكل الصراع ليكون البودقة التي ينصهر فيها فعل الجغرافية مع مكونات التاريخ، ليأخذ هذا الصراع شكلاً موحشاً وكأننا امام حرب عالمية مصغرة تقف فيها تكتلات إقليمية ودولية وفاعلين أساسيين في مواجهة بعضهم البعض ويصر كل طرف على انه لا يغادر الأرض السورية دون ان يحقق الانتصار فالى جانب النظام السوري تقف روسيا بكل ثقلها مصحوبة بإيران التي وجدت في الساحة السورية مرتعاً خصباً لطرح فكرها الأيديولوجي بعد نجاحها في تجربة حزب الله اللبناني الذي هو الاخر طرفاً اساسياً في هذا الصراع مع حضور خجول للصين، في حين وجدت فصائل من المقاومة الفلسطينية ذات التوجه الراديكالي واليساري والثوري ضالتها في ان تكون الى جانب هذا التحالف مصحوبة بقوى أخرى ذات نفس التوجه من مختلف انحاء العالم. اما في الجانب الاخر فقد اصطف الى جانب الثالوث الطائفي (قطر وتركيا والسعودية) غالبية دول الخليج وقسم كبير من الدول الغربية في مقدمتها إسرائيل المستفيد الأكبر والولايات المتحدة الامريكية.

الهيمنة العلوية على السلطة في سوريا هي مبرر للدفاع باتجاه الاصطفاف والتصعيد فرغم انها ليست بجديدة الا ان المتغيرات الديمغرافية في منطقة الشرق الأوسط قد القت بظلالها ليكن عام 2011 (عام الربيع العربي) هو المنطلق ونقطة البدء لصراع دموي ونزاع مسلح متعدد الأطراف تحول بسرعة البرق الى حرب معقدة انخرطت فيها قوى إقليمية ودولية، أدى هذا الصراع الذي يشهد الان بوادر نهاياته الغير المطمئنة لأمريكا وإسرائيل والسعودية الى تشريد قرابة نصف سكان سوريا حيث زاد عدد المشردين على 5.4 مليون لاجئ خارج سوريا و 6.1 مليون نازح[17] ومشرد داخلها، وهنالك قرابة الثلاثة ملايين هم ضمن منطقة القتال التي انحسرت كثيراً مع بداية عام 2019، الأرقام الأولية وحتى نهاية عام 2018 تشير الى ان قرابة 400 الف سوري قد لاقوا حتفهم نتيجة هذه الحرب التي تداخلت فيها الخنادق الى حد كبير.

(17) معهد ستوكهولم لابحاث السلام الدولي – مصدر سابق ص106

هذه الحرب او الصراع يختلف عن سواه فساحات القتال داخل سوريا ليست بين عدوين بل ان لكل ساحة من الساحات القتال أطرافها المتنازعة فهنالك قتال يدور بين الجيش السوري والتنظيمات الإرهابية المدعومة من (السعودية) ومنها داعش والنصرة والجيش الحر وهنالك قتال يدور بين النصرة وداعش ورغم توقفه الا انه أحدث شرخاً كبيراً في طبيعة وقدرات تلك التنظيمات الإرهابية وعلى الطرف

الشمالي يقاتل الاكراد داعش تحت مسمى (قوات سوريا الديمقراطية) المدعومة من قبل الولايات المتحدة الامريكية في ذات الوقت الذي تقاتل فيه وحدات حماية الشعب وهي التشكيل الام لقوات سوريا الديمقراطية التنظيمات الإرهابية والجيش التركي معاً، وفي حلب وما جاورها نجد الفصائل الإسلامية مدعومة من قبل حزب الله اللبناني وايران تقاتل الى جانب الجيش السوري وبدعم من الجيش الروسي ما تبقى من فلول داعش والنصرة وجند الشام في اخر معاقلها حيث ادلب وما جاورها.

المحاولات لإيجاد مناطق (خفض التصعيد) في غرب سوريا والتي استحدثت أربعة منها في 6 مايس 2017 نجحت بعض الشيء من تخفيض حدة الصراع الا ان تداخل الخنادق وبروز روسيا كطرف أساسي في هذا الصراع جعل أمريكا تدخل هي الأخرى بقوتها محاولة دعم الأطراف التي تؤيدها على حساب الأطراف التي تدعمها روسيا والتي تحالفت مع قوات الجيش السوري والمدعومة من ايران، تركيا تحاول ان تبعد الخطر عن حدودها ليس كراهية بداعش التي سبق لها ان ساعدتها على التمدد حينما كانت المنافذ الحدودية التركية محطات لاستراحة الإرهابيين القادمين من مختلف الدول لنصرة داعش، بل خشية ان تكون لقوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب الكردي القول الفصل في هذه المنطقة والتي قد تؤدي لاحقاً الى العودة مجدداً الى اظهار ما جرى الاتفاق عليه في معاهدة (سيفر) في العقد الثاني من القرن العشرين والتي منحت الاكراد حق إقامة دولة تمتد من العمق الإيراني وحتى شواطئ المتوسط مرورا بالأجزاء الشمالية من العراق والاجزاء الجنوبية من تركيا.

اما روسيا العائدة الى المياه الدافئة بقوة بعد ان أصبحت في وضع قلق في سواحل أوكرانيا في محاولة لإيجاد البدائل عن فقدانها لإطلالتها البحرية في ميناء (سينا ستبول) الاوكراني فأنها قدمت الى الحكومة السورية دعماً سياسياً ومساعدات عسكرية منذ بداية الصراع في عام 2011 ومشاركات عسكرية وبصورة مباشرة منذ 30 أيلول 2015 ولم تتورع موسكو في الإعلان علانية عن خسائرها حيث أعلنت ان 41 من جنودها قد قتلوا للفترة ما بين ت[1] 2015 وك[1] 2017، في حين ان هنالك تقارير تؤكد ان 71 مقاتل روسي قد قتل اثناء هذا الصراع ولذات الفترة، ومع ان روسيا قد أعلنت خفض قوتها في ك[1] 2017 لكنها ستبقى او بقيت متحفظة بموقعها البحري في ميناء (طرطوس) الذي أسس في عام 1971 كقاعدة عسكرية روسية أي منذ توقيع معاهدة الصداقة الروسية السورية ابان حكم حافظ الأسد، وكذلك

ستحفظ بقاعدة حميم الجوية في اللاذقية التي بدأت بالعمل في أيلول 2015 بعد ان جرى تجديد المعاهدة المذكورة في المرفقين (في ك2 2017) حيث مدد استجارهما لروسيا لمدة 49 سنة مع خيار تمديد الاتفاقية بعد مرور 25 سنة عليها.[18]

(18) ايـان دايفـس – النـزاع المسلح في الشرق الأوسـط وشمـال افريقيا – الكتاب السـنوي 2018 التاسـع ونـزع السلاح والامن الدولي – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط1 2018

إيران

في الميدان العسكري يجد (كينث ام بولاك) وهو احد مؤلفي كتاب هلال الازمات ان الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ودول غربية أخرى تسعى الى إعادة تشكيل قواتها في الخليج (التي اعدت في المقام الأول لاحتواء العراق واحتياجه قبل سقوط صدام) ومن ثم إعادة بنائه (التي لم تتم) للتعاطي مع ايران بشكل افضل وقد تتطلب إعادة التشكيل هذه منع دخول الشاحنات المحملة بالسلع الممنوعة الى ايران، والقدرة على التعاطي مع (العدائية الإيرانية المتجددة والمفترضة من قبلهم) ضد الحلفاء الغربيين في المنطقة، واعداد القوات لتنفيذ خيار مواجهة انتشار الأسلحة اذا ما توفرت المعلومات المخابراتية لهذا الغرض ويستطرد الكاتب قائلاً (وهذا الكلام قبل توقيع ايران ومجموعة خمسة زائد واحد للاتفاق النووي وما تبعه من تداعيات لاحقة) وبالفعل يجب على الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها بذل جهود مخابراتية كبيرة كجزء من المسار الثالث مماثلة لرفع مستوى الجهود المبذولة لمواجهة القاعدة بعد 11 أيلول/ سبتمبر2001 لجمع المعلومات حول البرنامج النووي الإيراني املاً في تطوير خيار قابل للتطبيق يقضي بتوجيه ضربة لعملية انتشار الأسلحة، واذا ما فشل المساران الأول والثاني، يجب على الولايات المتحدة التفكير بجدية اكبر وفي اطار النظام الجديد للاحتواء، بخيار شن حملة جوية ضد المنشأت النووية الإيرانية وبذل جهود اكبر لجعل هذه العملية معقولة وما زال هنالك على الأرجح أسس منطقية دبلوماسية وعسكرية قوية ضد هذه الاستراتيجية، لكنها قد تكون اقل خضوعاً اذا فشلت الولايات المتحدة الامريكية في حمل الإيرانيين على اجراء صفقة قد تكون على حساب استمرار برنامجهم، او حمل حلفائها على اعداد بنية محفزة متعددة الجوانب لامتناع ايران بالقيام بهذا الامر.[19]

(19) اينودالدر واخرون. هلال الازمات – الاستراتيجية الامريكية الأردنية حيال الشرق الأوسط الكبير – الدار العربية للعلوم – ناشرون ط1 2006 ص33

بعد مجيء ترامب تغيرت الصورة وباتت اكثر دراماتيكية من السابق لطبيعة الصراع بين ايران من جهة والولايات المتحدة الامريكية وحلفائها من جهة أخرى فترامب يعمل من اجل تأجيج الصراع وايقاد نار الحرب على ايران ولو على اقل تقدير بمستوها الأدنى المتمثل باستعراض القوة وهذا ما يفعله الان او ادراكاً منه بان

الموجهة بشكلها الواسع والشامل لن تكن في صالحه أي في صالح الولايات المتحدة حتى لو تعرضت ايران الى الالاف الضربات بالصواريخ والقذفات الامريكية للأسباب التالية التي قد لا تكون قائمة الان الا انها ذات تأثير مباشر اذا ما اندلعت المواجهة العسكرية.

أ ـ العمق الإيراني والوضع الجيوبولوتيكي لها يمنحها قدرات مضافة تجعل من احتلالها امر في غاية الصعوبة والتعقيد خاصة بعد تجربتين فاشلتين لجيوش الولايات المتحدة الامريكية في كل من العراق وأفغانستان.

ب ـ لا تفرط الولايات المتحدة بأمن حليفتها إسرائيل على الاطلاق ومن البديهي ان اول رشقة صواريخ أمريكية تجاه المدن الإيرانية سيصاحبها عشرات الرشقات من الصواريخ اتجاه إسرائيل ومن أماكن ومناطق قد لا تستطيع القوات الامريكية او الإسرائيلية التعامل معها بالسرعة المطلوبة لدرء الخطر.

ج ـ الاقتصاد العالمي الذي خرج لتوه من مرحلة بائسة حيث سيتعرض ثانية لهزة اكبر نتيجة هذا الصراع والأكثر تأثير هي الدول الأوروبية إضافة الى الولايات المتحدة فعنق الزجاجة المتصلة بمضيق هرمز سيؤدي اغلاقه حتماً في حالة حصول النزاع المسلح الى رفع أسعار النفط الى ما يقارب خمسة او ستة اضعاف سعره الحالي وهذا الامر لا يتحمله الاقتصاد العالمي في الوقت الحاضر.

د ـ سياسة الولايات المتحدة تجاه دول الخليج والمبنية على المنفعة الأحادية بحجة تأمين الحماية لهذه الدول من الخطر الإيراني ستكون عرضة للتغيير الجذري في حالة تغيير النظام في ايران فلن تبقى ذرائع هذه السياسة وبالتالي ستفقد الولايات المتحدة مصدراً حيوياً من مصادر دخلها القومي خاصة في مجال بيع الأسلحة الى دول الخليج التي تتبؤء الان مركز الصدارة في شراء الأسلحة من بين جميع دول العالم.

هـ ـ لامن الإقليمي الهش سيكون في وضع اصعب مما هو عليه حيث سنجد هنالك الكثير من المبررات التي تدفع قوى إقليمية غير مسيطر عليها من قبل دولها للقيام بعمليات استهداف للمصالح الامريكية مما يجعل من الصعب بمكان ان تؤمن كل مفاصل تواجد المصالح الامريكية في المنطقة.

خلاصة القول ان الصراع القائم بالوقت الحاضر بين ايران والولايات المتحدة الامريكية والدول المتحالفة معها وخاصة إسرائيل والسعودية والامارات سيبقى على

الأرجح متأججاً لأطول فترة ممكنة وقد يخفت اذ ما غادر ترامب كرسي الرئاسة وقد يتصاعد الى حد التلويح بالحرب الا انه في كل الحالات لن يخرج عن اطار التلويح بالقوة الا اذا تصرفت ايران بطريقة تجبر الولايات المتحدة على استخدام القوة وهذا الامر مستبعد تقريباً كون المعروف عن القيادة الإيرانية انها اكثر حنكتاً وحكمة من ان تصل بالأمور الى هذا الحد. وهنا لابد من الإشارة الى ان الولايات المتحدة قد تلجا الى الحصار الاقتصادي والتشديد عليه بغية إيصال الاقتصاد الإيراني الى حافة الانهيار وهذا الامر يتعارض مع مصالح الكثير من الدول مثل الصين واليابان والهند وتركيا وحتى روسيا.

الصراع في اليمن

الصراع في اليمن لم يكن وليد خلاف بين السعودية والحوثيين بل ان للولايات المتحدة الامريكية الدور الأكبر في تأجيج هذا الصراع باعتباره جزء من بؤرة يمكن من خلال توسيعها ان تكون منطقة قتل لأطراف متعددة (متحاربة) في ان واحد، فبدايات هذ الصراع المسلح كانت مغايرة تماماً لما حصل لاحقا. فقد كانت هنالك ملامح لتشكيل تحالف بين الحوثيين والاخوان المسلمين في اليمن بيد ان محاولات صانعي القرار في اليمن وقوى إقليمية مسندة من قبل الولايات المتحدة حاولت تفتيت هذا التحالف وذلك بالدفع باتجاه المواجهة المسلحة حيث قام النظام حينها بأرسال الفرقة الاولى من الجيش اليمني بقيادة محسن الأحمر لرفع مستوى التهديد وإعادة رسم مساره وفك التحالف بين الاخوان والحوثيين الا ان الأمور لم تسير وفق اهواء النظام حيث دحرت الفرقة العسكرية بعد ان تمكن الحوثيين من تدميرها واجبارها على الانسحاب من العاصمة صنعاء في 21 أيلول 2014 وقاموا حينها باستيلاء على الأسلحة الموجودة في المعسكرات التابعة لفرقة اللواء محسن الأحمر ونجحو في اقتحام منازل المواليين لقائد القوة وكذلك منازل الاخوان المسلمين وتمددوا خارج مناطق تمركزهم في مدن اب ورادع والحديدة، حتى انفرط عقد التحالف المأمول بين الطرفين (الحوثيين والاخوان المسلمين) في اليمن مما جعل بنية الفوضى والصدام الأكثر رجحاناً من أي تحرك سياسي او اجتماعي ميال للسلم داخل اليمن.[20]

(20) د. علي فارس حمد – طوائف الصراع... مصدر سابق ص49

وفي ذات الإطار فان التنافس بين ايران والسعودية يؤشر مدى الدور الذي ارادت السعودية ان تحظى به في إعادة رسم وتفعيل دورها في المجال الإقليمي، فمن جانبها سعت السعودية في ظل تراجع نموذجها امام نماذج إقليمية لدول غير عربية

(ايران وتركيا) الى تغيير نمط ادارتها لصراعات المنطقة بهدف المحافظة على مصالحها من خلال تبني سياسة فعالة تهدف الى تحقيق ما يلي:

أ ـ إعادة الدور الإقليمي للسعودية في ضل تراجع مكانه بعض الدول العربية (مصر والعراق وسوريا) وانكفائها على التحديات الداخلية.

ب ـ العمل على تغيير التحالفات التقليدية وبناء تحالفات جديدة تقوم على رؤية تتوافق مع مصالحها وفي المقابل وللحيلولة دون ان يستحوذ الخطاب الإيراني على دوراً اكبر في المنطقة، تبنت السعودية محاولات تهدف الى تأييد الشارع العربي وكسبه، من خلال مقاربة مذهبية في تحديها لإيران والتي سعت من خلالها لمنع النفوذ الإيراني وذلك بقيامها بتبني مشروع طائفي جرى فيه طرح أفكار وتصورات تحد من قدرة ايران على التحرك.[21]

(21) د. محمد كريم كاظم وفراس عباس هاشم – الوكيل الإقليمي (السعودي) ومهام توسيع فراغ القوة في اليمن – مجلة حمورابي – العدد 14 لسنة 2015 مركز حمورابي للدراسات الاستراتيجية – بغداد العراق ص73

واذا ما تابعنا الصراع اليمني السعودي من وجهة النظر العسكرية أي بجوانبه العسكرية المتجه بعيداً عن التدخلات السياسية التي فرضت هذا الصراع والذي هو في حقيقته صراع غير معلن بين السعودية وايران على أراضي اليمن، فأننا نجد ان الصراع قد بدأ اعتباراً من عام 2004 كما بينا سابقاً وقد قاد الصراع من طرف الحوثيين (حسين بدر الدين الحوثي) زعيم الطائفة الزيدية في اليمن ورغم ان التشكيل القتالي الذي كان يقوده يطلق عليه (انصار الله) الا ان وسائل الاعلام السعودية وغيرها ركزت على مسمى (الحوثيين) من اجل إعطاء الصراع طابعاً محلياً بعيداً عن حقيقة هذا الصراع ومداخلاته، مرت سنوات على هذا الحرب المتقطعة والتي راح ضحيتها الالاف حينها وشرد قرابة الربع مليون يماني، وانتهت باتفاق لوقف اطلاق النار في 2010، كل ذلك جرى والسعودية كانت تعمل من خلف الكواليس لتأجيج هذا الصراع مجددا باعتبار ان الفكر الزيدي لا يختلف عن الفكر الشيعي والذي بات يهدد اجزاء كبيرة من السعودية وخاصة الحساء والقطيف.

اندلعت مجدداً الاحتجاجات وهذه المرة بشكل مختلف اريد بها ان تكون مكملة للربيع العربي وهو بالتأكيد الوجه المعلن للفوضى الخلاقة حيث شهد عام 2011 تصاعد الاحتجاجات وتنحية الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، مما احدث فراغاً امنياً استغلته القاعدة (تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية ولاية اليمن) وهو ما دفع باتجاه الانفلات الامني بالكامل، ومع بداية عام 2014 تصاعدت مجدداً حدة الصراع بين الرئيس اليمني الجديد (الذي جرى اختياره من قبل السعودية) وجماعة (الحوثيين) حيث استطاعت الاخيرة من فرض سيطرتها الكاملة على العاصمة

واجزاء كبيرة من بلاد، اعقب ذلك تدخل عسكرياً مباشر من قبل السعودية بطلب من حكومة (هادي) اعتباراً من اذار 2014، الا ان الاحداث بدأت تأخذ طابعاً دموياً ولم يعد الصراع المسلح داخلياً بل اصبح اقليمياً مبني على الطائفية وباتت هذه الحرب وكأنها حرب غير مباشرة بين السعودية وايران وقد اخفقت جميع المساعي من اجل ايقاف هذ الصراع رغم اطلاق العديد من المبادرات السلمية ونتيجة ذلك وصول عدد الاشخاص الذين هم على شفا الموت والمجاعة اكثر من مليون شخص.

في كانون الثاني 2017 حدث انعطاف جذري في طبيعة الصراع المسلح حيث شن التحالف الذي تقوده السعودية والقوات اليمنية الموالية للسعودية هجوماً عسكرياً واسعاً النطاق في الجنوب غرب البلاد وفي شمالها لفرض استعاد العاصمة صنعاء وقدرت الأمم المتحدة حينها بان النزاع أدى بحياة اكثر من 10 الاف شخص غالبيتهم من المدنيين ومشرد ثلاث ملايين وان اكثر من (10) ملايين مهددين بالمجاعة في[22] حين تفشت الكوليرا في اغلب المدن التي تشهد القتال وتصاعدت حمى اطلاق الصواريخ بين الأطراف المتصارعة في حين أصبحت الطائرات المسيرة لاعباً اساسياً في الحرب، ورغم كل القدرات العسكرية والترسانة الضخمة للأسلحة السعودية والمدعومة امارتياً وامريكيا ومصرياً وباكستانيا وسودانيا اضافة الى عشرات الدول الأخرى، الا ان الصراع في الميدان لم يحسم لصالحها رغم ان الحوثيون فقدو العديد من المدن ذات الأهمية الاستراتيجية

(22) معهد ستوكهولم للأبحاث.. مصدر سابق ص111

المتغير الأكبر في طبيعة الصراع في اليمن حصل عندما انفرط عقد التحالف بين الرئيس المخلوع علي عبد الله صالح والحوثيين والذي أدى يوم 4 ك الاول 2017 الى مقتل الأخير وانتهاء حقبة من تحالف هش غير متوازن، في ذات الوقت استمر السعوديون بغاراتهم فقد شنوا قرابة 5676 غارة في النصف الأول من عام 2017 مع تشديد الحصار على الموانئ اليمنية على امل إيقاف المساعدات العسكرية الواردة الى الحوثيين من ايران، في ذات الوقت اعلنت منظمة الصحة العالمية ان عدد الإصابات بالكوليرا قد وصل الى اكثر من مليون إصابة.

الولايات المتحدة من جانبها كانت طرفاً في هذا الصراع حيث اكد متحدث باسمها انها اشتركت من خلال قواتها المتواجدة مع التحالف السعودي بعمليات برية متعددة وانها شنت قرابة 125 غارة جوية على الحوثيين رغم ادعائها بان تلك الغارات كانت موجهة على مواقع تابعة لتنظيمات القاعدة في اليمن، المحصلة للصراع لا تزال غير ممكنة التوقع الا ان هذا الصراع أدى الى انعدام ابسط مقومات الحياة الإنسانية لاكثر من 17 مليون يمني أي 60% من مجموع سكان اليمن.

النزاع الكردي التركي

ابتدأ من عام 2011 بدأت حدة التوتر بالتصاعد في الجنوب التركي ورغم ذلك لم يصل الى مستوى الصدام المسلح واسع النطاق بين الحكومة التركية والاكراد بمختلف تنظيماتهم العاملة على جانبي الحدود العراقية – السوريا – التركية، مع احداث تموز 2016 والمحاولة الانقلابية الفاشلة التي خرج منها (رجب طيب ارد وغان) قويا واكثر هيمنة وسيطرة على السلطة ومنحته لاحقا هو وحزبه إمكانية أوسع في مجال الاستفراد بالسلطة فقد شنت القوات التركية في اب 2016 هجوم واسع النطاق كانت تجاه عدوين في أن واحد فالعدو المعلن الأول هو تنظيم داعش المتواجد بقوة غرب الفرات و الذي بات يلامس الحدود التركية دون ان يحاول عبورها اما العدو الثاني فهو الجماعات الكردية التي تقاتل داعش المتمثلة بقوات الحماية الكردية وقوات سوريا الديمقراطية المدعومة أمريكيا.

ومع ان تركيا أعلنت اكتمال اهداف هجومها الذي استمر حتى اذار 2017 الا انها في حقيقة الامر لم تستطع حسم الصراع مع الطرفين فلا استطاعت إزاحة داعش الى ابعد مما هو عليه وفي ذات الوقت ولم تتمكن من كسر شوكة القوات الكردية التي احتمت تحت مظلة الامريكان وباتت هذه القوات جزء من قوة قتالية على الأرض تحسب على انها أمريكية التحالف والانتماء. ورغم ذلك عاودت تركيا مجددا على امل ان تحسم الامر عسكريا حيث دفعت قواتها صوب ادلب المدينة الأكثر تشددا بعد الرقة في تشرين الثاني 2017 رغم ان هذه المحافظة اندرجت ضمن المناطق الأربعة التي اريد خفض حدة التوتر فيها والتي اشرنا لها سابقا، ومع ذلك فان إمكانية تركيا في فرض سيطرتها الكاملة على اكراد سوريا امر غير ممكن عمليا على اقل تقدير في الوقت الحاضر.

في أيار 2017 قررت الولايات المتحدة تصعيد مستوى (التعاون والتنسيق مع قوات سوريا) الديمقراطية التي هي في حقيقتها وحدات حماية الشعب الكردي من خلال رفع مستوى البعثات الامريكية التي تعمل معها خاصة المتخصصة منها بالتدريب والتسليح وتجهيز وتقديم المشورة والمعونة العسكرية، مما أدى الى تصاعد حدة التوتر بين الولايات المتحدة الامريكية وتركيا، هذا في الجانب السوري اما في الجانب العراقي فان الصراع مازال على شدته بين مقاتلي حزب العمال الكردي التركي BKK والقوات التركية التي وجدت لها ذريعة نتيجة هذا الصراع لتقوم بتصعيد العمليات العسكرية في شمال كردستان العراق خاصة في مناطق جبل

قنديل وما جاورها، بل وصل الامر الى دفع قوة قاربت من حيث العدد في فترات معينة (11) الف جندي ووصلت في فترات الهدوء النسبي الى (3) الاف جندي لتستقر في قاعدة عسكرية في (بعشيقة)، حيث تنطلق هذه القوات بين الحين والأخر للقيام بعمليات عسكرية ضد التنظيمات المسلحة الكردية التركية المتمثلة ب BKK مصحوبة بقوة جوية وللمنظومات صواريخ ووسائل اسناد ناري وبصمت كردي عراقي تتطلبه ظروف الأكراد في العراق وفشل مشروعهم بالاستقلال واعتراضات غير مجدية لا تتجاوز المنابر السياسية وقنوات التلفاز واروقة مجلس النواب من قبل الحكومة العراقية.

ينبغي فهم العمل العسكري التركي ضد التنظيمات المسلحة الكردية وبمختلف مسمياتها سواء تلك التي تتواجد في الشمال السوري او بمحاذاة خط الحدود العراقي التركي على انه عمل احترازي يراد منه منع أي محاولة لاستقلال الاكراد وإعلان دولتهم مستغلين الحالة القائمة الان التي ولدت فراغا امنيا سواء في العراق او سوريا خاصة وان الأغلبية الكردية التي تسكن جنوب تركيا تعتبر نفسها جزء أساسي من مكون واحد يمثل الاكراد في الدول الثلاثة إضافة الى ايران، لذلك سيبقى هذا الصراع متأججا ما دامت تركيا قادرة على منع حصول الاكراد على الاستقلال ومادام هنالك من يدعم الاكراد من اجل الحصول على استقلال. المواجهة سوف لن تنحصر بين حزب العمال الكردي التركي BKK او قوات حماية الشعب او قوات سوريا الديمقراطي في مواجهة القوات الانية التركية بل سيتعدى ذلك الى ما هو ابعد من ذلك بكثير خاصة وان الولايات المتحدة وإسرائيل وحتى السعودية لا تريد تركيا ان تفرض ارادتها بالكامل وتحسم هذا الصراع لصالحها كون الثقل الاستراتيجي التركي قد يوجه يوما ما لصالح الصراع العربي – الإسرائيلي.

الأرقام تشير الى مفتل اكثر من الفي شخص واحتجاز الالاف وتشريد قرابة النصف مليون منذ اندلاع القتال في تموز 2015 وما اعقبه من حملات عسكرية تركية وتصعيد عسكري وهذه الأرقام وردت من مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الانسان في حين ان الحكومة التركية والتي غالبا ما تبالغ في نجاح عملياتها في المنطقة قد أعلنت عن قتلها لأكثر من 2500 مقاتل من مسلحي الحزب واعتقال اكثر من 7200 مسلح بينما أعلنت عن قتل 148 جندي تركي و 32 مدني فقط.[23] الصراع في هذه المنطقة مستمر مدام هنالك مبررات قوية لدى الطرفين باستمراره.

(23) معهد ستوكهولهم لأبحاث السلام الدولي – الكتاب السنوي 2018 مصدر سابق ص110

الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي بين الاشتعال والخمود

غالباً ما كنا نستخدم تعبير الصراع العربي - الصهيوني (الاسرائيلي) للتعبير عن الصراع الذي نحن بصدده الا ان الحالة القائمة الان وتوقعات المستقبل تشير وبكل تأكيد الى ان هذا الصراع تراجع والى حد كبير من مستواه الإقليمي بين دولة مغتصبة ومجموعة دول محيطة بها ترى فيها خطراً توسعياً الى ان أصبح وخاصة في العقد الثاني من القرن الحالي الى صراع بين مكونات فلسطينية بشعين الأول حماس وما حولها في غزة وبقايا فتح (منظمة التحرير الفلسطينية) ومكونات الدولة الغير مكتملة في الضفة الغربية وبين إسرائيل المدعومة من قبل الولايات المتحدة الامريكية وبكل قوة. ورغم ذلك فان هذا الصراع بقي مؤثراً وخطيراً كونه قد تجاوز عقدة الخطاب السياسي التقليدي ليصبح فعلاً قائماً على الأرض بعد ان باتت المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية حالة متكررة ومفروضة بقوة على الساحة وبشكل ينذر الى ما هو اكثر بكثير من مجرد صد لمجاميع قائمة بمسيرات بل ان القبة الحديدية تلقت المئات من الصواريخ في بداية مايس 2019.

في 6 كانون الأول 2017 عاد النزاع الى مسرح الاحداث حيث اعترف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب رسمياً بالقدس عاصمة لإسرائيل، وأعلن ان السفارة الامريكية ستنقل من (تل ابيب) الى هنالك وبالفعل جرى نقل السفارة بتأريخ 14 مايس 2018، غالبية الدول الأخرى تعترف بتل ابيب بانها العاصمة لإسرائيل، ولا يعترف أي منها بضم إسرائيل للقدس الشرقية، أطلق هذا الاعتراف العنان لتصاعد حدة الصراع يتحول من احتجاجات سلمية الى عمليات مسلحة وازدادت عمليات الاطلاق للصواريخ من غزة الى العمق الإسرائيلي بالمقابل فان السلاح الجو الإسرائيلي زاد من حدة ضرباته على اهداف منتخبة في غزة والضفة الغربية. مؤشرات هذا الصراع بدأت تتصاعد وبسرعة اكبر عسكرياً لتتصاعد معه عمليات استهداف القوات الإسرائيلية وبعمليات انفرادية او من قبل مجاميع صغيرة لتعيد ذات المشهد الذي اعقب هزيمة الخامس من حزيران 1967.

الصراع المسلح بين فلسطين وإسرائيل لا يرتقي في كل الأحـوال الى مسار الصراعات المسلحة الدائمة او المستمرة بل غالباً ما يعتمد مثل هذا النوع من الصراعات شكل التصعيد الاني والخفوت لاحقا كونه اذا ما تصاعد الى مستوى المواجهة العسكرية الدائمة لا يحقق ما تبتغيه أطراف الصراع فالفلسطينيين يتجنبون في كل مواجهة عسكرية إطالة امدها كونهم لا يمتلكون مقومات المواجهة الطويلة

الأمد مع إمكانيات عسكرية هائلة تمتلكها إسرائيل في ذات الوقت الذي تجد فيه إسرائيل نفسها مجبرة على قبول الوساطة بعد كل تصعيد خاصة تلك الوساطات التي يكون عرابها الجانب المصري اذا ان إسرائيل لا تعتبر (حماس) وما تشكله من تهديدات بين الحين والأخر و الصواريخ المنطلقة من غزة هي العدو الأكثر خطورة على إسرائيل بل انها تترقب وبحذر الجناح الشمالي لها حيث الإمكانيات الواسعة النطاق في مجال القتال الذي تمتلكه الفصائل المقاتلة لحزب الله ومن هنا فان الصراع الفلسطيني الإسرائيلي لا يمكن ان يحلل او يدرس دون ان يكون اللاعب الأساسي على الساحة الفلسطينية – الإسرائيلية والممثل بحزب الله حضوراً فيه.

الصراع المصري في سيناء

لا يمكن اغفال حقيقة واضحة وجلية ان مصر تمثل واحدة من الدول المحورية في منطقة الشرق الأوسط وان زعزعة امنها يعني الكثير بالنسبة للمنطقة خاصة في ظل الأوضاع السائدة والتي تنذر بتصاعد حدة الصراعات الإقليمية وخاصة تلك التي تنحى منحى عسكري إضافة الى الصراعات الأخرى التي تدفع باتجاه تبوء قيادة المنطقة أي تلك التي تتنافس فيها (تركيا وايران والسعودية)، لذلك فان الأطراف الأخرى لا تريد لمصر ان تكون بمعزل عن الحالة القائمة وان تكون هي الأخرى مساحة لتشابك الصراعات ومن هنا نجد ان صحراء سيناء تحولت الى بؤرة لتحرك إرهابي غير مسبوق حيث اندلعت الاشتباكات و التصعيد في العمليات الإرهابية في شمال سيناء ابتداء من عام 2013 واغلب العمليات الإرهابية التي نفذت كانت تستهدف القوات الأمنية المصرية، رغم ان الكثير من مأوي واوكار هذه الخلايا الإرهابية المنفذة لهذه العمليات هي اقرب الى التواجد الأمني الإسرائيلي منه الى المصري.

في عام 2014 وبعد سقوط الموصل أعلن التنظيم الإرهابي والذي كان وحتى ذلك الوقت يحمل اسم أنصار بيت المقدس المبايعة لابي بكر البغدادي واطلق على هذا التنظيم مسمى جديد هو (تنظيم الدولة الإسلامية - ولاية سيناء) حيث ارتفعت وتيرة العمليات الإرهابية ولم تتوقف عند مهاجمة القوات الأمنية المصرية بل تعدى الامر ذلك حيث نفذت تلك التنظيمات الإرهابية واحدة من اكثر العمليات اثارة للرأي العام وتأثير على طبيعة ومجريات الصراع حينما قامت في31 ت اول أكتوبر 2015 بتفجير الطائرة الروسية المتوجهة من شرم الشيخ الى روسيا مما أدى الى مقتل كامل طاقمها وركابها البالغ عددهم 224، استمر الحال على ما هو عليه من

حيث حدة التصعيد اذا بدأ الصراع يأخذ طابعاً اكثر تشدداً حينما تحولت العمليات الإرهابية الى استهداف متواصل للكنائس القطبية حيث هوجمت كنيستان قطبيتان في 9 نيسان 2017 راح ضحية الهجوم 48 شخصاً مما دفع الحكومة المصرية الى اعلان حالة الطوارئ في البلاد بأسرها ورغم العمليات المقابلة للجيش المصري الا ان الهجمات تواصلت على المسيحيين ففي أيار من نفس العام جرى تنفيذ واحدة من اكبر الهجمات دموية حيث قتل على اثر ذلك 29 مسيحياً ورغم ان الجيش المصري استمر في عمليات التطهير والقصف لمواقع تنظيمات داعش الا ان الحال لم يتغير كثيراً وعاودت داعش مهاجمة اهداف منتخبة حيث هاجمت مسجد الروضة في قرية عين العبد 24 تشرين ثاني في 2017 سيناء بحجة ان أهالي القرية ذوي توجهات صوفية أدى هذا العمل الإرهابي الى مقتل 300 مواطن مصري، سبقه هجوم على موقعين عسكريين في شمال سيناء ايضاً بعجلتين مفخختين أدى الى مقتل 23 عسكرياً مصرياً.[24]

(24) معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي – مصدر سابق. ص99

الحال ازداد سوءً في الأشهر الأخيرة من عام 2017 وطوال العام 2018 فالعمليات الارهابية بدأت بالتوسع رغم ان حملات عسكرية عديدة شنت من اجل فرض السيطرة، ويمكن ان يمثل هذا الصراع شكل من اشكال الحرب بالنيابة فسقوط الاخوان ومغادرتهم السلطة ومحاولات إسرائيلية لإبقاء الأرض في سيناء مشتعلة بغية اضعاف الجيش المصري، والتحرك المبطن غير المكشوف لأطراف خليجية منها قطر والسعودية الامارات كل تلك الأطراف لا تريد لهذا الصراع المسلح في سيناء ان يتوقف.

الصراع في ليبيا بلا نهايات

قد يكون الوضع في ليبيا مغاير لما هو عليه الامر في باقي دول الشرق الأوسط فطبيعة الصراع هناك لم يبدأ على أساس عرقي او طائفي او ديني بل كانت البدايات عبارةً عن عصيان مسلح رافق أيام الربيع العربي هذا العصيان كان مدعوماً وبقوة من قبل الغرب بتدخل عسكري معلن عام 2011. و بالتأكيد وبعد ان انتهت القدرات العسكرية الأمنية المسلطة على الشعب الليبي وانتهت دولة القوة حصل فراغ امني كبير في عموم البلاد وفي السلطة بمختلف مكوناتها. اعقب ذلك حالتين الأولى انتشار الواسع النطاق للعناصر المسلحة الغير المنضبطة وتسارع حالة عدم الاستقرار، والثانية تبوء الجماعات المسلحة المتشددة دينياً مركز الصدارة في قيادة الاحداث باتجاه التصعيد. الامر الأكثر خطورة ان ليبيا باتت مرتعاً للمجموعات

المسلحة من مختلف الدول التي تحدها كما انها أصبحت الممر المنفلت وغير المسيطر عليه للهجرة من افريقيا تجاه اوربا وباتت سواحل ليبيا عموماً تزخر بسماسرة تهريب البشر في ذات الوقت ما انفك النزاع يتصاعد في مرافئ تصدير النفط والحقول النفطية مع ظهور زعامات باتت اكثر متسلطاً وبطشاً من تلك التي كانت متسلطة ابان حكم القذافي، بالمقابل فان المجتمع الدولي ولسببين الأول هو خشية اوربا من ما كان يحصل في ليبيا، كونه بات اكثر تأثيراً على الامن الأوربي نتيجة مئات الالاف من المهاجرين الافارقة وثانيهما النفط الليبي الذي خسرته الدول الكبرى واصبح وسيلة لتموين العناصر الإرهابية التي اطلقت ذئابها المنفردة لتقوم بما قامت به في مدن وشوارع ووسائط النقل في عموم المدن الاوربية من عمليات ارهابية وبوسائل غير مألوفة، لذلك نجد بين الحين والأخر طرح محاولات جادة من اطراف اوربية لإيقاف هذا النزاع.

حكومة الإنقاذ وحكومة الوفاق والمجاميع المسلحة التي يقودها (المشير خليفة خنفر) لم تصل الى قناعة لإيقاف هذا الصراع بل بقي مستمراً في اغلب مدن الساحل الليبي فرغم كل الوساطات والمؤامرات والاتفاقات السياسية ومنها الاتفاق السياسي الليبي الموقع في الصخيرات بالمغرب في كانون الأول 2015 والذي نجم عنه تنصيب حكومة مدعومة من الولايات المتحدة سميت بحكومة (الوفاق الوطني) واتخذت من احد القواعد العسكرية البحرية في طرابلس مقراً لها الا ان التصعيد في حدة الصراع بات ينذر بما هو اكثر خطورة مما سبقه وبالفعل ففي مطلع اذار من عام 2017 سقطت مرافق تصدير النفط الرئيسية في (سيدرا وراس لانوف) في يد سرايا الدفاع عن بنغازي وهو تحالف متشدد مكون من أعضاء من انصار الشريعة ومليشيات اسلامية متشددة، ورغم ان هذا التحالف لم يصمد طويلاً وعاد الجيش الوطني الليبي للسيطرة على حقول النفط الا ان حدة الصراع بدأت تتصاعد هذه المرة في جنوب البلاد وفي طرابلس جاعلة من الاتفاقات التي وقع عليها في أبو ظبي وباريس حبر على ورق ومما دفع باتجاه تجدد الاشتباكات وتصاعدها في مناطق مختلفة من ليبيا.

الغرب الليبي لم يسلم من تصاعد حدة الصراع حيث اشتد القتال فيه مع مطلع تشرين الأول 2017 وبدأت تبرز على السطح تنظيمات مسلحة جديدة منها (غرفة عمليات ثوار ليبيا) وهي مليشيا معادية لتنظيم (داعش) الذي بدأ يمدد اجنحته في المدن الليبية بعد ان بايعته العديد من التنظيمات السلفية هناك ورغم ان هذا التنظيم المعادي لداعش قد استطاع الاستيلاء على مدينة صبراتة الساحلية وهي

من اكبر نقاط تجمع المهاجرين الى اوربا والذين يرومون عبور البحر المتوسط بالزوارق المطاطية والقوارب البدائية، الا ان هذه المعارك لم تحسم الموقف بشكل نهائي، في ذات الوقت استولت قوة أخرى متعاطفة مع جيش التحرير الوطني الذي يقوده (حفتر) على مناطق استراتيجية غرب ليبيا، في ذات الوقت دخلت الولايات المتحدة كطرف في مسرح الاحداث وبدأت بشن هجمات وغارات جوية متقطعة على مواقع منتخبة مدعية انها مراكز لتجمع داعش ومنها الغارات المركزة يومي 17 و19 تشرين الثاني 2017 والتي استهدفت المسلحين في واحة الفقهاء جنوب معقل تنظيم (داعش) في مدينة سرت.

رغم كل تلك الاحداث والتصاعد في وتيرة النزاع المسلح وانتشاره في مناطق مختلفة من ليبيا الا ان جميع اطراف النزاع تعتبر نفسها هي الممثل الشرعي للشعب فقائد جيش التحرير الوطني (حفتر) يجد في حكومة الوفاق الوطني والاتفاق السياسي مضيعة للوقت وان كلاهما قد انتهى وانه هو من يمثل الشعب الليبي، في ذات الوقت تصر تنظيمات داعش على انها وحدها من يحق لها قيادة ليبيا في حين ان حكومة الوفاق الوطني تحاول جاهدة وبدعم من قوى خارجية ان يكون لها القول الفصل على الأرض.

الصراع في العراق – داعش بين المدن والصحراء

قد تختلف داعش كثيراً عما سبقها من المنظمات والتنظيمات الإرهابية وهذا الاختلاف له ما يبرره فداعش ليست مجموعة إرهابية حددت لنفسها اهداف بذاتها لا تتجاوز السيطرة على مناطق او التحكم بها او انها ارادت العمل على تقويض نظام حكم لم يكن مرغوبا وفق لتصورات قادتها من قبل الطائفة التي تعتبر نفسها انها تمثلها او هي الوجه الصحيح والاصولي لها، ولا هي أمنت يوماً ما بان حدود عملها ينتهي حيث تنتصب الدعامات الحدودية لبلد ما، بل هي اكبر واوسع من ذلك بكثير فهي ترى الأمور بمنظار مغاير وتختلف تماماً عن قاعدتها الام فلا تؤمن كما يؤمن منظر وقائد القاعدة الحالي الظواهري بالعدو البعيد بل انها رفضت ومنذ نهاية عام 2010 جملة وتفصيلا كل القيود والمحددات التي تمنع انطلاقها نحو التمدد والتوسع ورفعت شعارها الشعبي والذي اخذ أصداء كبيرة في الشارع الذي تسيطر عليه والمتمثل بـ(الدولة باقية وتتمدد).

بعد موجة الانحسار القسري وخسارة داعش لأخر معاقلها في الحدود العراقية السورية في منتصف نهار 9ك1 2017 والاعلان الرسمي لانهيار اخر دفاعاتها

المعلنة في نفس اليوم من قبل الحكومة (الرسمية) القائمة في دمشق بخلو سوريا هي الأخرى من أي تواجد معلن لداعش على الأراضي السورية، اختلف الحال كليا فمرحلة ما بعد داعش باتت حقيقة معلنة لا يمكن انكارها، ولم تعد للدولة كما هو حالها خلال الأشهر الثلاثين الأخيرة تحكم وتتحكم وتقود وتتمدد وتأمر وتنهي بل باتت مجرد مجاميع لا ترتبط ببعضها البعض الا من خلال تنظيم خيطي دأبت اغلب التنظيمات السرية على مر العقود الأخيرة العمل بموجبه.

السؤال الأكثر الحاحاً هل ان تنظيم مثل داعش سينكمش ويتلاشى ام انه سينضمر لفترة زمنية ثم سيعاود الظهور بذات الوجه والتوجه او بوجه اخر مغاير قد يكون اكثر تشدداً او ربما يتغير الحال ليكون اكثر انفتاحاً تجاه الاخرين بعد التجربة التي خاضتها والتي افرزت الكثير من الجوانب التي لا يمكن للقائمين على هذا لتنظيم اغفالها، هذه الاحتمالات إضافة الى احتمالات كثيرة أخرى قد تراود القائمين على الشأن الأمني، ولا يمكن الحسم او استقراء الوضع المستقبلي دون الاخذ بنظر الاعتبار المحددات والممكنات القائمة الان والتي ستلعب دوراً حيويا كبيرا في تحديد الأطر المحتملة لنشاطات داعش ما بعد انحسارها، وفي كل الأحوال فان داعش ستتحرك لاحقا باتجاهين مختلفين فهي اما ان تتخذ من الصحراء الغربية ووديانها الشاسعة ملاذا امنا ومنطلقاً لعمليات إرهابية ذات ثقل اعلامي كبير، او انها تعاود تنشيط خلاياها داخل المدن للقيام بعمليات إرهابية مقلقة، لغرض اثبات الوجود ترافقها بين الحين ولأخر عمليات ذات بعد اعلامي مؤثر. هذين الاحتمالين هما الأكثر حضورا على ضوء الحقائق التي افرزتها التجارب السابقة، رغم ان البعض يعتقد بان لا داعش بعد اليوم بل ان تنظيم اخر بوجه مغاير سيبرز ليكون امتداداً لما سبقه كما يحدث الان من ترويج لتنظيم (الرايات البيضاء). ورغم ذلك فان جميع الاحتمالات قائمة بالوقت الحاضر خاصة وان منطقة التأثير والاهتمام المحيطة بمنطقة الحدث (منطقة الصفر) تكاد ان تكون في اسوء حالاتها من حيث اللاستقرار ولا توافق بين أطرافها المؤثرة جميعاً.

افضلية التوحش (الصحراء ام المدن)؟

بعد استقراء دقيق وعلمي ومنطقي للواقع الحالي بعد انهيار داعش نجد ان خيارات داعش قد لا تكون كما يتصور القائمون على التنظير الاستراتيجي متعددة ومفتوحة بل تزدادا الحلقة المتاحة للخيارات ضيقاً بمرور الوقت لأسباب متعددة منها:

أ ـ فقدان التنظيم لكل مأتم كسبه خلال عام 2014 على الارض.

ب ـ انخفاض حاد كبير في الموارد المتاحة لإدامة الزخم.

ت ـ تنصل وتخلي الكثير ممن تحالفوا مع داعش بعد بروز قوة الدولة في مناطق تمدد داعش السابقة.

ث ـ فقدان داعش للقيادات الوسطى والدنيا بشكل كبير وتلك القيادات كانت أكثر قدرة على الفعل التعبوي و العملياتي من القيادات العليا.

ج ـ منظومة الدعم اللوجستي المعتمدة بالأساس على الماوي الامنة أصبحت مكشوفة وفي متناول قدرات القوات المسلحة العراقية.

ح ـ لم يعد بالإمكان إيجاد مغريات كالتي كانت سائدة سابقاً لغرض تجنيد متطوعين جدد خاصة من الدول الأوربية ودول المغرب العربي وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة ودول الجوار الإقليمي.

خ ـ قد تكون دول المحيط الإقليمي أكثر حرجا بالوقت الحضر لتقديم الدعم للتنظيم خاصة بعد انشطار هذه الدول وكشف الأوراق بعد ازمة قطر.

د ـ الحشد الشعبي تمدد الى مساحات أوسع بكثير مما كان عليه او مما كان متوقعا خاصة في المناطق الغربية والموصل وتحت مسميات أخرى الا انه في كل الأحوال بات نقيضا للتحالفات التي كانت قائمة في تلك المناطق مع داعش.

امام كل هذه الأسباب وأسباب أخرى قد لا تكون واضحة المعالم بالوقت الحاضر نجد ان خيارات داعش قد تقلصت الى حد كبير ومع ذلك فخيار الصحراء أو المدن قائمين وإذا ما ذهبنا باتجاه ترجيح أحدهما على الاخر فلا بد من بيان ذلك بشي من التفاصيل:

أولاً: خيار الصحراء:

(1) هذا الخيار الذي تراهن عليه داعش أكثر من سواه كونه الأكثر ملائمة بالوقت الحاضر للظروف التي يمر بها التنظيم وللأسباب التالية:

أ ـ ان لداعش تجربة طويلة في العمل بهذه المناطق فهي مألوفة له وليس هنالك حاجة للتعايش او التكيف.

ب ـ المذهب الواحد في الغالبية العظمى من المنطقة الصحراوية يمنحها قدرة أكبر في الاستمرار بالعمل.

ج ـ الطبيعة البدوية لسكان الصحراء تجعلهم أكثر قرباً من التنظيم منه الى القوات الحكومية كونهم مجبولين على رفض النظام والتقيد به.

د ـ الائتلافات والتحالفات العشائرية السابقة قد تعاود الظهور مجددا اذا ما عاودت داعش بناء قواتها.

هـ ـ الناحية الطبوغرافية تمنح داعش إمكانية اكبر في استغلال الصحراء لغرض الانتشار والتخفي.

و ـ هنالك العشرات من المنشأت العسكرية والنفطية والاستخراجية التي أقامها النظام السابق قد يستغلها التنظيم لغرض يناء قاعدته المادية مجددا.

ز ـ الحدود تساعد على إعطاء داعش قدرة على المناورة والمرونة في التملص والادامة خاصة في الحدود العراقية والسورية التي تشكو ضعف عام في البنية التحتية لكلا الدولتين بسبب التدمير الكلي الذي تعرفت له المنظومة الحدودية (المخافر - الملاحق- السواتر- المنافذ).

ح ـ قلة العوارض والموانع الطبيعية يمنح مجاميع داعش قدرة واسعة على التملص من المطاردة او المتابعة من قبل القوات المسلحة العراقية.

(2) في ذات الوقت هذا الخيار يحمل في طياته بعض الجوانب السلبية التي قد تدفع باتجاه الخيار الاخر وهو العمل في المدن ورغم ان هذا الاحتمال قد يكون مستبعدا الا انه وفي ظل ظروف حروب الجيل الرابع فان العدو الاضعف غالبا ما يذهب باتجاه ما هو غير متوقع. ان السلبيات التي قد تبرز عند اتخاذ داعش لهذا المسلك بالنسبة له هي:

أ ـ ان انفتاح الصحراء يمنح القوة المهاجمة (القوات المسلحة العراقية) قدرة اكبر على الاصطياد والمطاردة.

ب ـ الخبرة المتراكمة من عمليات التحرير اتاحت للقوات العراقية قدرات كبيرة ومضافة في مجال مطاردة المجاميع الإرهابية وتطهير المناطق الثابتة.

ج ـ فقدان داعش للقاعدة المادية الخاصة بالاتصالات والمراقبة والاستطلاع اثناء عمليات التحرير يجعلها واهنة في مواجهة القوات الأمنية.

د ـ البعض من القبائل والعشائر في المناطق الصحراوية بدأت تنأى بنفسها عن إقامة تحالفات مع داعش.

هـ ـ تجربة داعش مع السكان المدنيين والتعامل القاسي وأساليب تطبيق الشريعة لا تتوافق في بعض جوانبها مع عقلية وسلوك البدوي.

(3) بالمقابل فان القوات المسلحة العراقية أصبحت في وضع مغاير لما كان الامر عليه قبل اجتياح الموصل واحتلاله من قبل داعش خاصة بعد دخول الحشد الشعبي والحشد العشائري والحشد التابع لوزارة الدفاع كجزء من المنظومة الأمنية وهذا الامر وسع الى درجة كبيرة قدرة القطعات على الانتشار والصمود بوجه أي تحرك واسع النطاق قد تقوم به المجاميع الإرهابية في الصحراء او تجاه اهداف على حافات المدن او داخل المدن انطلاقاً من ملاذاتهم الأمنة في الصحراء.

ثانياً: خيار المدن

(1) هذا الخيار قد تذهب اليه داعش كونه اكثر تأثيرا على المسار الأمني رغم انه لا يتوافق مع حالة داعش القائمة الان ومع ذلك فان هنالك من الدوافع والمبررات التي تدفع باتجاه ومنها:

أ ـ محاولة اثبات الوجود بعد الفشل والاخفاقات الكبيرة وذلك بالعمل من اجل الاحتفاظ بما تبقى من النجاحات المتحققة.

ب ـ القاعدة البشرية (الذئاب المنفردة – الخلايا النائمة) التي بثها داعش في مختلف مدن العراق أثناء عمليات تمدده او اثناء عمليات التحرير والتي تعمل بشكل خيطي ولها القدرة على اتخاذ القرار بشكل فردي لتنفيذ أي عملية إرهابية تجدها مناسبة وممكنة.

ج ـ حاله التراخي الميداني بين صفوف القوات المسلحة العراقية بعد الانتصارات المتلاحقة والتي تستغل كثغرات لغرض القيام بالأعمال الإرهابية.

د ـ أهمية الجانب الإعلامي والدعائي فعملية داخل المدينة رغم محدودية تأثيرها تساوي من حيث التأثير الإعلامي والنفسي اكثر عشرات المرات من تلك التي تنفذ في الصحراء او في حافات المدن.

هـ ـ قد تجد داعش في عمليات المدن متنفساً لغرض تخفيف الضغط في قواطع أخرى حيث ان تصاعد هذه العمليات قد تؤدي الى إعادة انتشار القوات كما حصل بعد عملية (مطعم فدك في الناصرية) في(يوم 14 أيلول 2017) وعملية استهداف رتل للحشد الشعبي التركماني قرب مخمور في اذار 2019 وغيرها من العمليات.

حيث اعيد نشر المئات من افراد الشرطة والجيش والحشد الشعبي لتامين مطاعم الطرق خشية معاودة داعش استهدافها.

(2) خيار المدن قد لا تذهب اليه داعش كونه وكما بينا سابقاً خياراً صعباً ومعقداً ويحتاج الى الكثير من المتطلبات ويمكن اجمال أسباب العزوف المحتمل لداعش عن عمليات المدن ولو الى حين للأسباب التالية:

أ ـ انه يتطلب منظومة قيادة والسيطرة رغم ان إمكانية تنفيذ عمليات فردية ممكنة الحصول الا انها غالباً ما تكون محدودة التأثير.

ب ـ احتمالية الكشف قائمة خاصة بعد ان باتت الوكالات الاستخبارية اكثر فعالية من السابق.

ج ـ تامين متطلبات تنفيذ العمليات الإرهابية باتت اكثر صعوبة بعد انخفاض مستوى التموين المالي المتيسر.

د ـ في كل الأحوال فان القوة المضافة للقوات المسلحة والمتمثلة بالحشد الشعبي قد حددت والى درجة كبيرة من قدرات داعش داخل المدن خاصة وان هذه القوات تمتلك منظومات استخبارية فعالة باستطاعتها الكشف المبكر عن النوايا الإرهابية او على اقل تقدير منع المجاميع الإرهابية من تنفيذ عملياتها بحرية.

ثالثاً: ظهور تنظيم بمسمى جديد

(1) خيار سياسي أكثر مما هو عسكري فقد بدأت هذه المجاميع بالضهور مع بدا تصاعد بوادر الانهيار النهائي لداعش في الموصل والحويجة، وهي مجاميع من تنظيمات غير متجانسة حاولت الجهات الداعمة لانفصال إقليم كردستان وإعلان استقلاله زجها بعد ان استطاعت القوات الأمنية ودحر محاولة الانفصال واستعادة السيطرة على اغلب المناطق المتنازع عليها ومنها محافظة كركوك بأكملها.

(2) هذا الخليط الغير متجانس يتألف من:

أ ـ مجاميع من الانفصالين (الاكراد البيشمركة من الحزب الديمقراطي الكردستاني)

ب ـ ما تبقى من مجاميع داعش التي التجت الى إقليم كردستان بعد انهيار التنظيم في الموصل وايسر الشرقاط والحويجة.

ج ـ بقايا جيش الطريقة النقشبندية وهم يمثلون الجناح العسكري لحزب البعث المنحل بلباس ديني.

د ـ مجاميع من حزب العمال الكردي التركي ممن جرى زجهم بالقتال الى جانب البيشمركة ضد القوات الحكومية.

هـ ـ تنظيم انصار السنة ممن لم ينظموا الى داعش خلال المراحل السابقة.

و ـ ما تبقى من تنظيم القاعدة الذي اتخذ من إقليم كردستان ملاذاً امنا له.

(3) تتراوح اعدادهم بالمئات ولا يتجاوز عددهم الكلي الـ(2000) إرهابي حتى نهاية عام 2017 وتسليحهم لا يختلف كثيراً عن تسليح البيشمركة ويحتمل ان يكون دعمهم اللوجستي من جهات متنفذة داخل إقليم كردستان ذات ميول انفصالية.

(4) عملوا خلال فترة محدودة ضمن الرقعة الجغرافية الملامسة لعمل البيشمركة وصولاً الى المرتفعات المحيطة (بطوزخورماتو)وصولاً الى تلال حمرين في ديالى متخذين من المناطق الوعرة أماكن ومأوى لهم.

(5) كانت عملياتهم العسكرية محدودة تتراوح بين مهاجمة حواجز عسكرية او تفجيرات عبوات ناسفة او رمي قنابل هاون تجاه مناطق سكنية او غيرها من العمليات الإرهابية ذات المساس بالأمن المجتمعي في حين اختفت الاله الإعلامية التي كانت تروج لهم مع بداية عام 2019.

نظرة الى مستقبل الصراع

على ضوء ما تقدم فان الصراع في العراق وخاصة مع داعش يمر الان بذات المراحل او المرحلة التي ابتدأت بها والتي بدأت بعد عام 2010 وبالتأكيد فان القائمون على رسم سياسة داعش خاصة العسكرية والأمنية سيحاولون قدر الإمكان الاخذ بنظر الاعتبار الوضع الحالي لقوة داعش مبتعدين قدر الإمكان عن المجازفة غير المسحوبة النتائج بل ان كل ما يعملون من اجله هو إبقاء جذوة الاتقاد تحت الرماد لداعش وعدم محاولة أسعار النيران مجدداً دون ان يكون هنالك ما يغذي هذه النيران التي تمنحها القدرة على الاستمرار.

ان مستقبل الصراع سينحصر بالتأكيد في الجانب الأمني المحدد باعتبارات مكانية ولا يعود مجدداً الى مستوى المواجهة المتكافئة كما هو الحال في الأعوام الثلاثة الماضية، فاختيار الصحراء كمهرب لمواجهة مسلحة واسعة النطاق قد يلبي رغبات قيادات داعش العليا بالوقت الحاضر والمستقبل القريب.ان الصحراء ولاده لمجاميع لاحقة لداعش كما حصل في السابق مع اعتبار هذا الخيار بمثابة فترة

مراجعة وإعادة تنظيم، كما ان الخيار الثاني المتمثل بالعمليات الإرهابية داخل المدن قد يلبي بعض غرور قادة داعش في البقاء على قيد الاعلام باعتبار ان ضمور او انقطاع مثل هذه العمليات تحت مسمى (داعش) قد يدفع ببروز حركات أخرى تأخذ على عاتقها اذكاء حدة الصراع مجدداً واختيار داعش لخيار الرايات البيضاء لفترة محددة رغم انها أجبرت عليه الا انه قد يحافظ على وجودها او تواجدها ضمن ساحة العمليات محمية من جماعات متنفذة لا تريد للأمن الوطني ان يستقر رغم ان هذا الخيار لم يستطع الاستمرار مثلما كان يتأمل القائمون على قيادة داعش.

صراع المياه في الشرق الأوسط

لا يختلف اثنان ان بمقدار أهمية النفط كمصدر حيوي ومهم للطاقة فان المياه تشكل ذات الاهمية ان لم تكن اكبر بكثير، لذلك نجد ان الصراعات الدائرة او تلك التي حصلت كان للمياه حضوراً مباشر او غير مباشر في تصعيدها خاصة وان الشرق الأوسط ورغم الوفرة الاعتيادية للمياه فيه الا ان هنالك الكثير من المعاضل والتحديات التي تؤدي او أدت بنتيجتها الى حصول صراعات عديدة بين دول الشرق الأوسط او انها ستؤدي لاحقاً الى نشوب مثل هذه الصراعات. ان عدد السكان المتنامي وبوتيرة متصاعدة في بلدان الشرق الأوسط والتي تصل نسبة النمو فيها وحسب اخر التقديرات الى 3.8% إضافة الى معدلات الاستهلاك للمياه الاخذة بالارتفاع نتيجة ارتفاع المستوى الاقتصادي والمعاشي وطبيعة الحياة الاجتماعية ولدتا طلباً متزايداً على المياه وقد يصل الامر في بعض الأحيان الى حصول شحة او ندرة في كميات المياه قد تصل الى حد الجفاف وهنالك ما هو اهم هذا كله هو ان المصادر المهمة للمياه غالباً ما تتواجد في مناطق متداخلة بين عدة بلدان كما هو الحال لنهري دجلة والفرات والنيل ونهر الأردن ونهر الليطاني وغيرها ولذلك فأنها قد تكون بؤرة لتصعيد النزاعات بين الدول المشتركة في مصادر المياه.

خلال حقبة الحرب الباردة، تصاعدت في منطقة الشرق الأوسط الصراعات على المياه على الرغم من ان هنالك دوافع أخرى كانت لها الحضور الأكبر في تأجيج تلك الصراعات فحرب 1967 بين العرب و إسرائيل قد فجرها الى حد الاقتتال هو السيطرة على روافد نهر الأردن، وفي عام 1975 كادت ان تندلع الحرب بين العراق وسوريا بعد ان بدأت الأخيرة بأملاء خزانات سد الطبقة في أعالي الفرات مما أدى الى حفض نسبة المياه الواردة الى للعراق بصورة كبيرة وتسبب ذلك في جفاف في اغلب مناطق الفرات الأوسط وفي عام 1990 تصاعدت حدة التوتر مع تركيا لذات

الأسباب كذلك شهد صيف عام 2017 ذات الازمة، في حين ان معضلة شط العرب هي في الحقيقة من اكثر مسببات الحرب العراقية الإيرانية المباشرة، والتصعيد الذي حصل بين مصر واثيوبيا حول منابع نهر النيل هو الاخر يمكن اعتباره واحد من اهم أسباب تصاعد حدة الصراع، في لبنان كانت هنالك معضلة مماثلة تتمثل في نهر الليطاني مع إسرائيل، ومع بداية القرن الحادي والعشرين بدأت هذه الصراعات بالتصاعد وبحدة اكبر بعد ان ازداد الطلب على المياه وبدأ تأثير التغيرات المناخية يظهر جلياً على كميات المياه المتوفرة. الاحتمال الأكبر ان هو ان الخلافات والنزاعات والصراعات حول اقتسام المياه او الوصول الى تقسيم عادل للموارد المائية المتنازع عليها ستكون اكثر حدة وتصاعد وعلى نحو متزايد خلال العقود المقبلة، لا سيما بين البلدان التي تعتمد على المياه اكثر من سواها.[25]

(25) همام خضير مطلك ـ الصراع الدولي – مثابات متجددة في بيئة امنية متغيرة – بحث منشور في مجلة حمورابي العدد 19 – 20 صيف – خريف 2016 الصادرة من مركز حمورابي للدراسات الاستراتيجية – بغداد

يعود السبب الرئيسي لدخول المياه كطرف محفز مستقيلاً لرفع حدة الصراعات او على اقل تقدير خلق صراعات و قد تصل في بعض الأحيان الى شكل من اشكال الصراعات المسلحة. هو انها أي المياه باتت تشكل الأهمية الأكبر في رسم ملامح خطط التنمية المستقبلية حتى بالنسبة للبلدان الشرق أوسطية الغنية بالنفط، ويعود تسارع الازمة المائية وبروزها من خلال النقص في المصادر المائية لدى العديد من الدول ومنها العراق وسوريا ومصر والأردن والسودان وعموم دول الخليج العربي، الى عوامل رئيسية ثلاثة هي: [26]

(26) مجموعة باحثين. مشكلة المياه في الشرق الأوسط الابعاد التنموية والاستراتيجية واحتمالات الصراع والتعاون المجلد الثاني – مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث الدولية – بيروت لبنان ط1 1994 ص137

أ ـ النسبة العالية في النمو السكاني وهي من اعلى النسب في العالم وتصل الى 3.5 بالمئة الامر الذي يستتبع حركة انتقال واسعة النطاق من الريف الى المدينة وبالتالي ازدياد في الطلب على المياه للاستعمالين المنزلي والصناعي إضافة الى الاستعمال الزراعي.

ب ـ تنفيذ مشاريع طموحة جداً (سدود ذات طاقة استيعابية عالية) على الأنهر كما حصل في تركيا وايران واثيوبيا إضافة الى الدول العربية التي تمر بها تلك الأنهر، بهدف تحقيق زيادات كبيرة في المساحات الزراعية إضافة الى انتاج اكبر من الطاقة الكهربائية.

ج ـ تناقص مصادر المياه المتاحة نتيجة انخفاض معدلات الامطار في بعض السنوات والاسراف الغير المبرر في استخدام المياه الجوفية وتزايد ملوحة الابار والتلوث البيئي وارتفاع درجات الحرارة والذي نجم عنه ارتفاع في معدلات التبخير إضافة الى العامل الأهم وهو مراحل ملئ الخزانات المرافقة لإقامة السدود.

إسرائيل وصراع المياه

يعتبر الكيان الصهيوني الصراع من اجل المياه هو صراع من اجل البقاء ادراكاً منه انه اذا ما فرض سيطرته الكاملة على المياه في الدول المجاورة له فانه سيكون قادراً على التحكم بالكثير من مفاتيح تحقيق النصر في الصراع القادم، ولأنه يدرك ادراكاً كاملاً ان المياه هي الجزء الأهم في بقائه ووجوده وان قضية المياه ليست اطلاقاً قضية فنية او قضية تقاسم لكميات من المياه بل انها محور أساسي في وجوده عبر تأمين القدر الكافي من المياه لضمان استمرار الحياة بشكلها الطبيعي مع مراعاة التطورات المستقبلية ومتطلباتها من المياه، وهكذا نجد ان هنالك إصرار دائم على ادماج موضوع المياه ضمن الملفات التي تطرح في المفاوضات الثانوية او المتعددة الطراف ومحاولة اقناع الدول العربية المجاورة لها على التخلي عن الاعتبارات السياسية لمصلحة الحسابات الاقتصادية، واغراء تلك الدول بالدخول مع إسرائيل في مشاريع مشتركة وبالتالي تتحول تلك المشاريع كذريعة ومبرر لارتباطها العضوي بمنطقة الشرق الأوسط ولا يتوقف الامر عند هذ الحد بل تتحول هي أي (إسرائيل) الى محور لهذا الارتباط ومن ثم دمجها في المحيط العربي بصورة لا يمكن التراجع عنها.

وإذا ما اردنا تحليل طبيعة الصراعات حول المياه القائمة بين إسرائيل من جهة والدول العربية المجاورة لها نجدها كما يلي:

أ ـ نهر الأردن: انصب اهتمام إسرائيل ومنذ قيامها بمياه نهر الأردن، وحاولت جاهدة إقامة العديد من المشاريع من اجل استغلال مياهه، كما ان هذا النهر قد يكون السبب وراء حرب عام 1967 حيث ان تصاعد الازمة بالأساس كانت في البدء تتعلق باستغلال إسرائيل لمنابعه، ومع بداية الخمسينات من القرن السابق قدمت إسرائيل، ما اطلق عليه حينها مشروع (جنسون) ثم مشروع (كوتن) اللذان شملا ايضاً مياه نهر الليطاني (اللبناني) وفي عام 1994 وبموجب المعاهدة الأردنية الإسرائيلية جرى الاتفاق على قيام إسرائيل بتزويد الأردن بخمسين مليون متر مكعب من مياه هذا النهر، الا ان تنفيذ هذا البند بقي متذبذب وغير مستقر وبما يتماشى مع رغبة إسرائيل في جعله ورقة ضغط دائمة على الأردن.

ب ـ نهر الليطاني. يمكن اعتبار فترة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان هذه الفترة المثالية للهيمنة الإسرائيلية على مياه هذا النهر حيث جرت السيطرة بالكامل على مياه هذا النهر وغيره من المياه اللبنانية باستخدام نفق بطول (17) كم لسحب مياه

الليطاني الى داخل إسرائيل مما تسبب في احداث كارثة بيئية في جنوب لبنان بعد انقطعت المياه عن فرابة 250 قرية لبنانية مما قضى تماماً على اغلب مزارع الحمضيات في صيدا وصور ولم يتوقف عند هذا الحد بل انها اقامت مشروع اخر من خلال حفر نفق اخر جرى فيه ربط نهر الحوزاني بإسرائيل.

ج ـ نهر النيل: (المياه مقابل السلام) شعار رفعه الإسرائيليون في مباحثاتهم مع الرئيس المصري الراحل أنور السادات حينما جرى التفاوض من اجل منح إسرائيل نسبة 1% من مياه النيل لغرض اصلاح صحراء النقب ورغم ذلك لم يجري حسم الموضوع نهائياً حيث استمرت مصر بالرفض لذلك نجد ان إسرائيل تحاول جاهدة دعم اثيوبيا في موقفها تجاه مياه النيل والصراع القائم الان بينها وبين مصر حول السد الذي تنوي اثيوبيا اقامته والذي سيؤدي الى خفض كمية المياه الواردة لمصر.

د ـ المياه السورية: منذ عام 1919 والقائمون على مشروع إقامة الكيان الصهيوني يحاولون جاهدين من اجل ان تكون المياه السورية النابعة من جبل الشيخ جزء من (ارض إسرائيل الموعودة) حيث جاء في المذكرة الصهيونية المقدمة الى مؤتمر السلام في باريس في ذلك العام ((ان جبل الشيخ هو أبو المياه الحقيقي الى فلسطين ولا يمكن فصله عنها الا بأنزال ضربة جذرية في حياتها)) ومعنى ذلك ان مستقبل فلسطين المائي بأكمله بيد الدولة التي تبسط سيطرتها على (نهر الليطاني واليرموك ومنابع نهر الأردن) وجميعها لها منابع في جبل الشيخ وهذ ما يعني إبقاء السيطرة الإسرائيلية على الجولان. وفي ذات الصدد نجد انه وفي دراسة مقدمة من معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط والمعنونة بـ(الامن والسلام) جاء فيها ان قيمة الجولان العسكرية ليست فقط و على وجه التحديد حماية (الجليل) ولكن الأهم من ذلك الدفاع عن مصادر المياه والتي تعتبر حاجة استراتيجية مطلقة وفي الحقيقة تعني البقاء وديمومة الحياة لإسرائيل، وما دامت الحرب قائمة بين سوريا وإسرائيل وما دامت منابع نهر الأردن غير امنة فان إسرائيل لا يمكنها الانسحاب من مرتفعات الجولان.[27]

(27) قاسم كاظم البيضاني – مشاريع التقسيم في الشرق الأوسط.. مصدر سابق ص442

قراءة مستقبلية للصراعات في الشرق الأوسط

من ضمن التوقعات المحتملة لمستقبل الشرق الأوسط والمنطقة العربية على وجه الخصوص وعلى ضوء الصراعات القائمة بالوقت الحاضر نجد ان توقعات العالم الأنثروبولوجي الفرنسي مايكل بار والتي وردت على لسانه في مقابلة معه من

قبل مجلة (مدارات عربية) في عددها الصادر في مايس 2005 هي الأقرب للتحقق ويمكن اجمل ما ذهب اللية بار ما يلي:

أ ـ محاولة تغيير الشكل الإقليمي القائم بالوقت الحاضر بمشروعات انفصالية تشجعها قوى خارجية وإقليمية ترى الأولى في التقسيم المزيد من السيطرة وضمانة لأطماعها الاستراتيجية وبضمنها الحصول على قاعدة تواجد دائمية افضل لحماية مصالحها في المنطقة اما الدول الإقليمية فتجد فيها فرصة لأضعاف تلك الدول التي تعتبرها منافسة لها ضمن المجال الإقليمي.

ب ـ تحطيم البنى الوطنية القائمة والذي سيؤدي حتما الى بروز البنى ذات التوجهات الطائفية والعرقية الضيقة وانغلاقها على نفسها او ضمن محيطها الطائفي والعرقي.

ج ـ تهديد التماسك المعلن والقائم الان للدول ذات التنوع الديمغرافي.

د ـ انهيار مرتقب شبه حتمي للدول القوية والذي سيفضي لاحقا الى ولادة كيانات مستقلة جديدة متنافرة فيما بيها الى حد الاحتراب والاقتتال.

هـ ـ تقطيع الشرق الأوسط او إعادة تقطيعيه مجددا بتصورات وأفكار وتحالفات وطروحات ذات ابعاد اثنية وطائفية والتي تدفع تلك العصبيات الى اقصى انغلاقها وذروة ابتعادها عن الوطن الام.

وعجز هذه الانغلاقات الطائفية عن بث الطمأنينة وبالتالي يبقى مجال الصراعات مفتوحا على مصراعيه

الرابح الأكبر من هذه الصراعات بالدرجة الأساس هو إسرائيل والتي تعول كثيرا على استمرارية هذه الصراعات خاصة وانها وجدت فيها متنفس للابتعاد عن احتمالية المواجهة المباشرة مع محور الممانعة المتمثل بإيران وحزب الله وبعض الفصائل الفلسطينية وفصائل المقاومة الإسلامية في العراق، في ذات الوقت تبقى الولايات المتحدة الاعب الرئيس في هذه الصراعات مختفية خلف فوضاها الخلاقة التي اثمرت في أماكن متعددة من الشرق الأوسط وتنتظر بعين الترقب لنجاحات أخرى في أماكن لاتزال عصية على الفوضى الخلاقة، وبالتأكيد فان المحرك الأساس للسياسة الامريكية في الشرق الأوسط هما امرين أساسين أولهما وقبل كل شيء أمن إسرائيل وثانيهما الجدوى الاقتصادية من التي تجنى من التدخلات في الشرق الأوسط ومن هنا فان بقاء امريكا كلاعب أساسي في هذه الصراعات وحتى المسلحة منها مرهون بهذين المبررين.